
القافلة
ربيع الاول ١٤٠٤م - ديسمبر ١٩٨٣م يناير ١٩٨٤م

بسم الله الرحمن الرحيم

القافلة

العدد الثالث / المجلد الثاني والثلاثون

ربيع الأول ١٤٠٤هـ - ديسمبر ١٩٨٣م يناير ١٩٨٤م

تصدر شهرياً عن شركة أرامكو لموظفيها
إدارة العلاقات العامة

العنوان

صندوق البريد رقم ١٣٨٩
الظهران - المملكة العربية السعودية

توزع مجاناً

المدير العام : فيصل محمد البسام

المدير المسؤول : إسماعيل إبراهيم نواب

رئيس التحرير : عبدالله حسين الغامدي

المحرر المساعد : عوني أبوكشك

صورة الغلاف :

مبنى معهد اللغة العربية التابع لجامعة أم القرى ويستقبل الطلاب الراغبين في دراسة اللغة العربية من غير العرب.

تصوير: علي عبدالله خليفة



٨ من كتب الصناعة عند العرب :
كتاب الفلاحة لابن بصال



١٨ جامعة أم القرى في مكة المكرمة

تصميم وطباعة شركة مطابع المطوع - الدمام
DESIGNED AND PRINTED BY AL-MUTAWA PRESS CO. - DAMMAM

الصورة الفنية كما رسمها القرآن

بقلم: د. أحمد جمال العمري / القاهرة

من أجلّ وأعظم الأسرار، التي وضعها الحق —سبحانه— في كتابه العظيم.. أننا حين نقبل على قراءته بامعان وتدبر.. نرى أنفسنا نستقبل معاني الآيات بكل من قلوبنا وعقولنا وخيالنا معا، فالقلب ينشرح، والعقل يفهم، والخيال يتصور..

وهذا الأمر يخالف المألوف والمعروف لدى قراءة أي كلام أو كتاب آخر، فالعقل وحده هو الذي يتفاعل مع الكلام والمعاني، وما ذلك الا لأن القرآن العظيم، على اختلاف موضوعاته كلها.. انما تقوم أداته التعبيرية على رسم الصور الفنية وتجسيمها..

وهنا قد يتساءل البعض.. ما معنى التصوير؟ وما مفهومه؟..

يقول علماء البيان: الكلام خبر وانشاء. **والخبر**—كما نعلم— هو الحديث عن معنى قد وقع على سبيل الاطلاع عليه لمن كان جاهلا، أو التذكير به لمن كان ناسيا.. **والانشاء**.. تحصيل معنى عن طريق استفهام أو طلب..

اذن.. فشأن الكلام على كل حال، مرتبط بالمعنى اخبارا به، أو استفهاما عنه، أو طلبا له، وليس له من شأن بما وراء ذلك.

وما هو المعنى؟.. انه عبارة عن كل ما يدركه العقل، فكل ما يعلمه العقل فهو معنى. ومن هنا كانت صلة الكلام بالعقل دائما، والمتكلم انما يخاطب في الناس عقولهم، فاذا أدرك العقل واستوعب، حمل إلى مكامن الاحساس والوجدان من ذلك المعنى ما يلائمه من التأثيرات المختلفة، فتفاعل الاحساس بها وتأثر..

— بيد أن لكلام القرآن طريقة أخرى في الخطاب، وهذا سر اعجازه. انه لا يخاطب العقل وحده على نحو ما نعلم من سائر أنواع الكلام، ولكنه يخاطب كلا من القلب، والعقل، والخيال، والشعور معا.

أو قل: انه يحمل الى العقل معنى يخاطبه به، وينبهه اليه، وينفث في المشاعر والخيال احساسا بصورة ذلك، وينبهها الى ما فيه من حركة وحياة.

وكلام القرآن لا يعثر على هذا السبيل في الخطاب اتفاقا، أو بأن يتهيأ له سبيل الى تشبيه أو استعارة أو مجاز، حتى اذا تجاوز ذلك عاد الى النسق المألوف، والكلام العادي. بل هو في القرآن نسق مطرّد، وطريقة متّبعة، وسبيل عرفت به، وعرف بها سواء كان يأمر أو ينهى، أو يخبر ويقصّ، أو يعلم ويشرّع، أو يتحدث عن غيب، أو يحذّر من عذاب..

وسر الاعجاز في ذلك كل من حقيقتين:

الحقيقة الأولى: أن المعاني القرآنية في حقيقتها ليست الا مجردات اعتبارية يهضمها ويدركها العقل وحده، فيحوّلها الى صورة مما تألفه العين، ويدركه الشعور والخيال وما لا يقدر عليه الانسان.

أما الحقيقة الثانية: فهي أن الألفاظ، ليست الا حروفا صوتية جامدة، فتحولها الى ريشة ينبع في رأسها الأصباغ والألوان المختلفة —المطلوبة— لتحليل المعنى الى صورة في لوحة يتأملها الخيال، بل وتكاد تدركها العين قبل أن يستوعبها العقل. وهذا أمر لا يقوى عليه شيء مما نسميه المجاز أو البلاغة أو البيان. وهذا سر اعجازه، وآية من آيات ابداعه..

فليست المعاني في القرآن مجردات اعتبارية لا يدركها الا العقل.. وانما هي صور حيّة تمر بخيال القارئ ويلمسها احساسه، وتكاد أن تراها عينه.. وليست الألفاظ في القرآن تلك الحروف التي لا تدل الا على المعنى، بل الألفاظ ينبوع للصور والاحساس والألوان.

ان التصوير القرآني يندرج في مظاهر متعددة بوسائل مختلفة، وكثيرا ما نجد هذه المظاهر كلها مجتمعة في نص واحد، وقد نجد بعضها متفرقا في نصوص متعددة.

* **فأول مظهر للتصوير**، في القرآن العظيم، اخراج مدلول اللفظ من دائرة المعنى المجرد الى الصورة المحسوسة والمتخيلة.

* **والمظهر الثاني**.. تحويل الصورة من شكل صامت الى منظر متحرك حيّ.

* **أما المظهر الثالث**.. **فهو** تضخيم المنظر وتجسيمه حينما يكون الجو والمشهد يقتضيان ذلك.

والوسيلة القريبة الى تحقيق هذه المظاهر — لا تعدو أن تكون استعارة، أو مجازا مرسلا، أو تشبيها وتمثيلا.. وهذه الوسائل التي وضع عليها علم البيان، انما هي قواعد استنبطت من التصوير، الذي انطوى عليه أسلوب القرآن الكريم.

فالقرآن هو الأساس لهذه القواعد وليس العكس كما قد يتوهم..

أما الوسيلة البعيدة.. فلسنا نملك منها الا الوصف التقريبي، اذ هي سر من أسرار الاعجاز القرآني، وهي الغاية التي تقف دونها طاقة ائمة البيان. وكل ما استطيع أن أقوله عنها.. أنها الكيفية اللطيفة الدقيقة، التي تتألف الكلمات على وفقها، وتتناسق الحروف والحركات على أساسها، فتخرج الكلمة والجملة في قالب من اللفظ، وطريقة من الأداء تبث في الاحساس والخيال صورة حيّة للمعنى..

والأمثلة على ذلك كثيرة جدا.. بل هي القرآن العظيم كله..

□ — فلنتأمل في هذا التصوير الذي بلغ أسمى درجات الروعة لحالة المتكبر وعنفوانه واستعلائه على الحق، وجنوحه عن السبيل الصحيح:

«انا جعلنا في أعناقهم أغلالا فهي الى الأذقان فهم مقمحون، وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا، فأغشيناهم فهم لا يبصرون»[1].

فالآية كما نرى تتركنا نتخيل انسانا التف حول عنقه غلّ عريض مرتفع الى الذقن، وجعل رأسه صاعدا الى الأعلى لا يتحرك، فتلك هي الصورة الساخرة للمتكبر، ثم هو يقف في مكان قد سد عليه بجدران غليظة مرتفعة من أمامه ومن خلفه، وقد غشي الظلام على بصره فهو لا يملك حراكا نحو أي اتجاه، وتلك هي صورة من لم ينفع معه المنطق ودلائل الفكر والعقل، وظل مع ذلك عاكفا على غيه وضلاله.

□ — ولنتأمل هذه الآية الأخرى، التي تريد أن توضح لنا قيام الكون على أساس من النظام المرتب، والتنسيق الذي لا يختلف، ولا يلحقه الفساد.. فهي تصور لنا هذا المعنى في مظهر من الحركة المحسوسة الدائرة أمام أعيننا، وكأننا أمام آلات لمعمل تتحرك بسرعة دائبة، وفي نظام مستمر..

«ان ربكم الله، الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يغشي الليل النهار يطلبه حثيثا، والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره، ألا له الخلق والأمر.. تبارك الله ربّ العالمين» (٢)

فانظر في قوله **«يغشي الليل النهار يطلبه حثيثا»** وتأمل في الصورة المتحركة التي تطبعها في خيالك، وانك لتجد هذه الصورة المتحركة نفسها بأسلوب آخر، في قوله تعالى:

«لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر، ولا الليل سابق النهار، وكل في فلك يسبحون» (٣)

فنحن نقف من هذه الآية.. أمام حركة دائبة لا تفتر ولا تتخلف، يعيها ويتصورها الشعور والخيال.

□ — ولننظر في هذه الصورة المتحركة الأخرى، التي عمدت الى معنى فكري مجرد، فأخرجته في مظهر حرب متلاحمة بين طرفين لنتبصر أحداثها أمامنا حية مجسمة.

«بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون» (٤)

فالقذف والدمغ الزهق .. كلمات ما كان ليخطر في بال أي متأمل أن يستعملها في مجال التعبير عن أن الحق هو الذي تتقبله النفوس والعقول الحرة دائما، ولكن الاعجاز القرآني هو الذي طوّع مختلف ألفاظ اللغة لمختلف الصور والمعاني والأفكار.

□ — ولنتأمل أيضا هذه الصورة.. وهذا التصوير، لقد أمر الحق تبارك وتعالى نبيه ورسوله، صلى الله عليه وسلم، إن هو التقى بجموع الكافرين، الذين أصروا على عنادهم — أن يشتد في قتالهم حتى تحيق بهم الهزيمة، ويدخل في قلوبهم الرعب.. فانظر الى الأداة التي استعملها في التعبير عن هذا المعنى:

«فاما تثقفنّهم في الحرب فشرّد بهم من خلفهم لعلهم يذكرون» (٥).

فقد أخرج معنى التلاقي الذي يكون بين المسلمين وأعدائهم، في صورة من ظلّ يتربص بشيء حتى ظفر به، ووقع عليه، وعبّر عن ذلك بقوله «تثقفنهم» بمجموع ما تحمله هذه الكلمة من الدلالة ومن الصياغة اللفظية، ومن تناسق السكنات والحركات، والتشديد البارز بينها.

ثم أخرج معنى «الحاق الهزيمة» في صورة فريدة عجيبة، هي صورة جند أقوياء أشداء، انقضوا في هجوم صاعق على طلائع أعدائهم، أو الصفوف الأولى منهم، فأخذ الرعب والفزع منهم كل مأخذ، حتى سرى ذلك منهم الى من خلفهم من بقية الجموع، فتبعثروا في كل جهة، قبل أن يصل اليهم ويلامسهم.

□ — ولنتأمل كذلك هذه الصورة الفنية.. لقد أخبر الحق تبارك وتعالى — رسوله — صلى الله عليه وسلم — أن مسئولية كل عمل متلبسة بصاحبه، خيراً كان أم شرا، فلا يسأل انسان عما لم يعمل، ولا ينبعث الشر من مصدره طيرة أو شؤما، وانما ينبعث من فاعله الذي فعله. فلنتأمل كيف صور القرآن هذا المعنى:

«وكل انسان ألزمناه طائره في عنقه، ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا» (٦)

اذا تأملت في هذا التعبير، بعد أن علمت أن العرب في الجاهلية كانوا يرون في مظاهر بعض الأنواء والحيوانات والطيور، سببا وباعثا للمصائب والشرور، تخيلت صورة انسان قد تجمعت كل أسباب الشؤم والطيرة حوله.. فالتصقت به، وتعلقت بعنقه، ليدل بذلك على أن الذي يقوده الى الشر انما هو ذاته نفسها.

وانما أخرج المعنى بهذا المظهر التصويري الحسي الملموس، ليكون أوقع في النفس، وأدل على المقصود، وليحمل التعبير معنى السخرية بأوهام الجاهلية وسخافاتها.

□ — وصورة أخرى رسمها القرآن المجيد تصور كراهية أهل الجاهلية للأنثى اذ تولد في دار أحدهم، وبيّن أن الكرب يأخذ من أحدهم كل مأخذ اذا ما أخبر بأنثى قد ولدت له، وأنه يراود فكره أن يدفنها في التراب حيّة.. فلننظر كيف عبر القرآن عن هذا الشعور النفسي بأسلوب تصوير تسجد له البلاغة العربية في أسمى مظاهرها وألوانها:

«واذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم، يتوارى من القوم من سوء ما بشّر به، أيمسكه على هون أم يدسّه في التراب ألا ساء ما يحكمون» (٧).

لقد صوّر تهكم من حوله به بكلمة «بشّر»، ثم صور شدة الكرب الذي انتابه بقوله (ظل وجهه مسودا وهو كظيم) ثم صور وقع النبأ الذي حمله اليه القوم مبشرين — أي متهكمين ومشفقين — بقوله: «يتوارى من القوم من سوء ما بشّر به». ثم صوّر الحيرة التي تراوده وتطوف بخاطره بقوله: «أيمسكه على هون أم يدسّه في التراب». اننا اذا رددنا النظر والفكر في هذه الكلمة الرائعة (يدسّه) لأبصرنا كيف أنها تشف عن الغيظ والعصبية والشدة التي تلبست بها حالة الرجل.. ولأدركنا جمال الصورة الفنية التي رسمها القرآن العظيم.

اننا اذا أردنا ان نستقصي الكلام في تصوير القرآن وأشكاله ومظاهره لجف المداد ونفد الورق دون أن نوفي البحث حقه.

«قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا» □

---

(١) سورة يس/٨، ٩.

(٢) الأعراف/٥٤.

(٣) يس/٤٠.

(٤) الأنبياء/١٨.

(٥) الأنفال/٥٧.

(٦) الاسراء/٢٣.

(٧) النحل/٥٨.

أساليب التربية عند العرب المسلمين

بقلم: بهاء الدين الزهوري / حمص

إن النظم التربوية الحديثة، لم تولد من فراغ، وانما هي وليدة مخاض تاريخي طويل، وتجربة انسانية بعيدة الجذور. ولا بد لنا اليوم، حين ندرس هذه النظم، أن نبحث في جذورها التاريخية، وذلك لسببين:

الأول: أن معرفة تطور الفكر التربوي، مدخل لازب لكل من أراد، أن يفهم الاتجاهات التربوية، التي نعيش اليوم في قلبها.

والثاني: أننا نشهد في أيامنا، ثورة تربوية جذرية، تحاول للمرة الأولى في التاريخ، أن تعيد النظر في ارث التربية كله، وأن تضع موضع التساؤل والبحث، اطارها التقليدي وأساليبها العريقة، التي عرفتها منذ أقدم العصور حتى اليوم.

ومن المفارقات المدهشة، أن الهدف الذي تطمح اليه، الاتجاهات التربوية الحديثة: من تربية موجهة الى أفراد المجتمع كله، وتتم عبر وسائل اعلامه وثقافته، مطمح نجد له جذوره وأصوله في تاريخ التربية نفسه. وأقرب مثال على ذلك: التربية العربية الاسلامية. فقد كانت في أوائل عهدها، أقرب الى التربية المبثوثة غير المباشرة، التي تتم عبر المجتمع كله، وتقدم لأفراد المجتمع جميعهم، من خلال مؤسسات هذا المجتمع، كالمساجد والزوايا ودور الوراقين وبلاط الخلفاء وسواها. وكذلك في (الكتاتيب) التي عرفتها العصور الاسلامية المتأخرة، والتي كانت أشبه بما يدعونه اليوم: (المدرسة بلا صفوف). حيث يتلقى فيها الطلاب من مستويات مختلفة، أنواعا من التعليم يلائم قابلياتهم ويتفق مع ما وصلوا اليه، من معرفة في كل فرع من فروع الدراسة، ويجلسون فرادى أو في حلقات، ويعلم كبيرهم صغيرهم، ويكتفي شيخهم بالاشراف على المجموعة، وتوجيهها، وتقسيم العمل بين أعضائها.

ولا يعني هذا أن (المدرسة بلا صفوف) التي تطمح اليها بعض الاتجاهات التربوية، ونجدها مطبقة في العديد من التجارب التربوية، هي (الكتّاب) كما عرفناه، بمزاياه ونقائصه. غير أنه من الصحيح القول: ان الكثير من بذور هذه الاتجاهات الحديثة، كانت قائمة في (الكتّاب) وسواه من حلقات العلم في المجتمع العربي الاسلامي.

وأتناول في هذا البحث: أساليب التربية عند العرب المسلمين. وأتمنى أن يكون جزءا من جهد موصول، يستهدف بناء نظمنا التربوية بناء يتجه الى المستقبل، عن طريق استيعاب التجربة الانسانية، في شتى عصورها، وعن طريق وضع تجربتنا المرجوة، في اطار التجربة الانسانية الشاملة، وفي اطار تجربتنا التاريخية الخاصة.

أساليب التربية الإسلامية

عني المربون المسلمون بطرائق التعليم، وكانت لهم أنظارهم ومذاهبهم في ذلك، ونورد هنا، أهم ما عرف في التربية العربية الاسلامية، من طرائق وأساليب ومباديء، في تعليم الصغار والكبار.

* سن التعليم: روي عن الرسول ﷺ انه قال: (اطلبوا العلم من المهد الى اللحد) وعلى هذا، فلم تكن هناك سن محدودة لطلب العلم، بل كان كل مسلم يدرك أن من واجبه، أن يطلب العلم ما أتيح له ذلك، في أي فترة من فترات عمره، حتى ولو كان شيخا تقدمت به السن.

وقد فرق المربون المسلمون بين تربية الصغار وتربية الكبار، وأقاموا وزنا كبيرا، للصلة بين مادة الدراسة وبين عمر الطالب. أما السن التي يبدأ عندها تعليم الطفل، فليست ثابتة، وقد ترك الآباء أحرارا، فلم يقيدوا بسن معينة لارسال اطفالهم الى الكتّاب، كما لم تفرض عليهم الدولة، تعليم الأبناء، واكتفوا بأن اعتبروا: التعليم فرض من الفروض الدينية، غير أن أكثر المربين، كانوا يدركون أن التبكير في طلب العلم، له فائدة كبيرة وجدوى عظيمة، لنشاط الجسم، وصفاء النفس، وفراغ البال.



قال حاجي خليفة: (ان من شرائط تحصيل العلم، أن يكون الطالب شابا، فارغ القلب، غير ملتفت الى الدنيا، قليل العوائق حتى الأهل والأولاد والوطن) ولم تكن هنالك سن محدودة لطلب العلم. ويروي ابن قتيبة: (أنه لا يزال المرء عالما ما طلب العلم، فاذا ظن أنه قد علم فقد جهل) وهذا الرأي يتفق مع الآراء الحديثة، التي ترى أن التربية تبدأ مع الحياة، وتنتهي بانتهائها، بل تبدأ قبل الولادة، عن طريق العناية بالأم، وثمة في عرف التربية الحديثة، تربية للأطفال والمراهقين والشيوخ، ولمراحل العمر المختلفة ومن هنا نفهم قول أحد الحكماء، حين قيل له: ما حد التعليم؟ فقال: حد الحياة.

* العقل والجسم: أدرك المربون المسلمون، منذ عصورهم الأولى، أن هناك صلة وثيقة بين الجسم والعقل، وقد عبروا عن هذه الصلة بالحكمة القائلة: (العقل السليم في الجسم السليم) ومن أجل هذا عنوا بالجسم، وخففوا عنه الأعباء، ليستطيع أن يحمل النفس الكبيرة، ويساعد العقل على الدرس والتدريس، والتعلم والتعليم.

ولم يجز المسلمون، أن يرهق الانسان قواه الجسمانية، أو يضعف من احتمالها، من أجل عبادة يسرف فيها، أو حرمان مما أحل للناس، فيحكي البخاري: ان الرسول ﷺ شاهد رجلا يكثر من الصلاة والصوم ولا يفطر، فأمره بعدم الاسراف في العبادة، وقال له: ان لبدنك عليك حقا.

وقد اتبعت هذه المباديء في المعاهد التعليمية، لأن الجسم المجهد أو المريض، لا يساعد العقل على الفهم. وأوصى الأصفهاني: (بترفيه النفس في طلب العلم، محذرا الطالب من مواصلة الدرس والجهد، دون أن يتخلل ذلك راحة ورياضة، فهذا الجهد المتواصل ستكون نتيجته الفشل) لذلك لجأت هذه المعاهد، الى منح الاجازات للترويح عن التلاميذ، وتجديد اقبالهم على العلم، فكانوا يمنحون اجازة يوم الجمعة، ونصف يوم الخميس من كل أسبوع، وهناك اجازات أخرى، في مناسبات مختلفة، أهمها: اجازة عيد الفطر، وعيد الأضحى، وهذه تمتد الى أسبوع في الغالب.

وهناك تدريبات رياضية، يعالجها التلاميذ، وقد نصح أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) بذلك، فقال: (علموا أولادكم العوم والرماية ومروهم فليثبوا على الخيل وثبا، ورووهم ما يجمل من الشعر).

ونستطيع أن نقول: أن المربين المسلمين، قد جعلوا للعب مكانته في التربية غير أنهم اقتصروا على الجانب الترويحي منه، بعد الفراغ من العمل، ولم يذهبوا مذاهب المحدثين، في جعل اللعب جزءا من العمل التربوي، وفي جعل العمل التربوي، يتم عن طريق اللعب.

* طريقة التعليم: أما طريقتهم في التعليم فكانت تعتمد اجمالا على التلقين والحفظ، ولا سيما في تعليم القرآن. وكان الحفظ في الواقع من أهم شروط العلم عند المسلمين، وربما كان ذلك راجعا الى حاجتهم، الى الاعتماد على الذاكرة أكثر من الاعتماد على الكتابة، وقد كانوا يفخرون بالعلم الذي (حوته الصدور) لا بالعلم الذي (حوته السطور).

ومن مفاخر المسلمين أيضا، أنهم أدركوا أن العلم وحده لا يكفي، ليكون سلاح المعلم، وعرفوا أنه لا بد من أن يضاف الى العلم، فن التربية، ليتمكن المعلم من دراسة نفسية الطفل، والنزول الى مستواه، والاتصال العاطفي به، ليكون ذلك جسرا، يوصل خلاله العلم الى عقل التلميذ.

قال ابن عبدون: (والتعلم صناعة تحتاج الى معرفة ودربة ولطف، فانه كالرياضة للمهر الصعب، الذي يحتاج الى سياسة ولطف وتأنيس حتى يرتاض ويقبل التعليم) وقد فهم كبار المربين: أهمية التدرج في التعليم، وتقريب العلم من أذهان المتعلم شيئا بعد شيء. ومما قرأناه لابن خلدون، في مقدمته: (اعلم ان تلقين العلوم للمتعلمين، انما يكون مفيدا اذا كان على التدريج، شيئا فشيئا، وقليلا قليلا، يلقى عليه أولا مسائل من كل باب من الفن، هي أصول ذلك الباب، ويقرر له في شرحها على سبيل الاجمال، ويراعي في ذلك قوة عقله واستعداده لقبول ما يرد عليه، حتى ينتهي الى آخر الفن، وعند ذلك يحصل له ملكة في ذلك العلم الا أنها جزئية وضعيفة، وغايتها أنها هيأته لفهم الفن وتحصيل مسائله ثم يرجع به الى الفن ثانية فيرفعه في التلقين عن تلك الرتبة الى أعلى منها، ويستوفي الشرح والبيان، ويخرج عن الاجمال ويذكر ما هنالك من الخلاف ووجهه الى أن ينتهي الى آخر الفن فتجود ملكته، ثم يرجع به وقد شد فلا يترك عويصا ولا مهما ولا مغلقا الا وضحه وفتح مقفله، فيخلص من الفن وقد استوى على ملكته).

وطريقة التعليم عند المربين المسلمين (طريقة فردية) في الجملة، محورها: الفرد، وميوله، واستعداداته. يعني فيها المدرس بكل طالب على حدة، ويوجه تعليمه الى الطالب المفرد، لا الى الطلاب جملة، وفي هذا تلتقي مع التربية الحديثة، التي تأخذ بتفريد التعليم —ان صح التعبير— أي بجعل الفرد أساسه ومحوره، والتي تحارب الاتجاه التقليدي، الذي كان يخاطب الطالب المجرد، لا هذا الطالب أو ذاك.

وينصح المربون، المتعلم دائما، ألا يخلط علمين، في وقت واحد، وأن يتفرغ الى العلم الواحد، حتى يتقنه ثم ينتقل الى غيره. وبذلك نصح موفق الدين البغدادي: (ألا يشتغل بعلمين دفعة واحدة، بل يواظب على العلم الواحد سنة أو سنتين، حتى اذا قضى منه وطرا ينتقل الى علم آخر).



وينادي بمثل هذا الرأي، الزرنوجي في كتابه (تعليم المتعلم)، وكذلك ابن خلدون. ولكن بعض علماء المسلمين، كانوا يرون في الوقت نفسه: أن العلوم متصلة، وأن حدوث ملكة في مادة، يساعد على قبولها غيرها. وفي هذا القول كما نرى، ما يشبه القول بانتقال أثر التدريب في نظريات التعلم الحديثة.

وتميزت طريقة التعليم، في المراحل العالية، بكثرة النقاش والأسئلة بين الطلاب والأساتذة، فلا يكاد الأستاذ يفرغ من محاضرته، حتى تنهال عليه الأسئلة من كل صوب. وتروي الأخبار مثلا: أن ابن عباس خالف مشاهير الاسلام في الرأي، وهم عمر وعلي وزيد بن ثابت، وكانوا أساتذته. كما اختلف الامام مالك مع أغلب أساتذته، ثم خالفه في الرأي كثير من تلاميذه.

ومن أظهر مميزات أساليب التعليم، في المراحل العالية، شيوع طريقة المناظرة، ولعلها من أخص مميزات طرق التربية في تلك العصور. وقد عقد ابن خلدون، في مقدمته، فصلا شرح فيه هذه النظرية، وجعل عنوانه: (فصل في أن التعليم للعلم من جملة الصنائع) يقول فيه: (وأيسر طرق هذه الملكة، فتق اللسان بالمحاورة والمناظرة في المسائل العلمية). ونجد في كتاب (المعيد في أدب المفيد والمستفيد) للعلموي، وصفا مستفيضا لشروح المناظرة وآفاتها وما يتولد عنها من مهلكات الأخلاق، كما نجد فيه ذكرا لبعض المناظرات الشهيرة، كالمناظرة بين الامام الشافعي والامام مالك، والمناظرة بين أبي الحسن الأشعري وأبي علي الجبائي، وغيرهما.

توجيه الطلاب حسب مواهبهم

عرف المربون المسلمون، فكرة توجيه الطلاب حسب مواهبهم، وكانت عملية التوجيه هذه، تبدأ بعد أن يجتاز الطالب، المرحلة الأولى للتعليم، وهم في هذا متفقون مع آراء المربين المحدثين. وقد ذكر حاجي خليفة: (أن على كل صبي أن يعرف طرفا من العلوم الضرورية في الحياة، كالقراءة والكتابة والحساب... ثم عليه بعد ذلك أن يتجه الى العلم أو الحرفة على حسب استعداده وتكوينه، اذ ليس كل أحد يصلح لتعلم العلوم، فاذا اتجه الى العلم، فليقصد العلم الذي يقبله طبعه، فما كل من يصلح لتعلم العلوم يصلح لجميعها).

وينبغي للطالب، كما يقول الزرنوجي: (ألا يختار نوع العمل بنفسه بل يفوض أمره الى الأستاذ، فان الأستاذ قد حصل له من التجارب في ذلك، فهو أعرف بما ينبغي لكل واحد وما يليق بطبيعته) وهم في هذا يوافقون المربين المحدثين أيضا.

وعن طريق اختبارات الذكاء، التي كانوا يستعملونها، فلم يذكر لنا المؤرخون والكتاب، تفصيلا دقيقا عنها فيما أعرف، وكل ما ورد الينا عنها، أن المربين كانوا يعتمدون على التجربة، فهم يعلّمون الطفل ثم يحكمون عليه بمقدار النتيجة التي يستطيع أن يحصل عليها، كما كانوا يختبرون ذاكرة التلميذ ليروا ما اذا كان يميل الى الحفظ، أو التعمق والتفكير، فان كانت الأولى، فليدرس علم الحديث، وان كان الثانية فليدرس الفلسفة والمناظرة وعلوم الجدل والكلام.

ولم يقف مربو المسلمين، في أمر توجيه الطلاب، عند هذا الحد، بل خطوا خطوة أخرى، فأشاروا الى ضرورة اعادة توجيه الطالب، اذا استبان خطأ توجيهه في البداية. قال ابن جماعة: (واذا علم أن تلميذا لا يفلح في فن، أشار عليه بتركه، والانتقال الى غيره مما يرجى منه فلاحة). وهذا المبدأ من أهم ما انتهت اليه الدراسات الحديثة، فأتيح المجال أمام الطالب، عن طريق مرونة المنهاج، ومرونة مراحل التعليم وفروعه، للانتقال من فرعه ولتغيير نمط دراسته.

* **العقوبات**: اهتم المربون المسلمون، في جميع عصور التربية بأمر عقوبة الطفل، ورأى بعضهم أنه لا بد من العقوبة، على أن تبدأ بالانذار فالتوبيخ فالتشهير فالضرب الخفيف. وقال آخرون باباحة الضرب والعقوبة الجسدية، اذا ما تجاوز الطفل حدود المعقول المقبول، ولم ينفع فيه الانذار والتوبيخ والزجر.

وقد عقد ابن خلدون، في مقدمته، فصلا عن الشدة على المتعلمين وأنها مضرة بهم، أكد فيه: (ان ارهاق الجسد في التعليم مضر بالمتعلم، لا سيما في أصاغر الولد، لأن من كان مرباه العسف

والقهر من المتعلمين ذهب نشاط نفسه، ودعاه ذلك الى الكسل، وحمله على الكذب والتظاهر بغير ما في ضميره، خوفا من انبساط الأيدي عليه بالقهر عليه، وربما صارت له هذه عادة وخلقا، فتفسد معاني الانسانية عنده، وتكسل نفسه عن اكتساب الفضائل والخلق الجميل، لأنه تعود أن يكتسب الفضائل خوف القهر والشدة، فاذا رفع القهر عنه يوما بعد عن الفضائل، وربما سلك طريق الرذيلة).

وفي خاتمة فصل (العقوبات) في كتاب (تاريخ التربية الاسلامية) أورد الدكتور أحمد شلبي، ثلاث حقائق هامة، توصل اليها:

— أبيحت العقوبات البدنية للصبيان، الذين تجاوزوا العاشرة من أعمارهم، ولم يبلغوا مبلغ الشباب، فلا يجوز ضرب الأطفال قبل العاشرة، ولا ضرب الطلاب الذين تقدمت أعمارهم.

— يستطيع المعلم أن يلجأ للعقوبة البدنية عند الضرورة القصوى، ويجب الا يكثر استعمالها، واذا استعملها فيجب ألا يكون متشفيا قاسيا بها بل مؤدبا رحيما.

— يكون الضرب بالدرة، على أن تكون رطبة مأمونة، ولا يضرب على الرأس ولا على الوجه، بل يضرب على الأفخاذ وأسافل الرجلين، لأن هذه المواضع لا يخشى منها مرض ولا غائلة. ومرجع هذا كله، أن الدين الاسلامي أباح العقاب، ولكنه وضع له حدودا، وقيده بقيود. جاء في القرآن الكريم: (ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب).

المكافآت

أما المكافآت، فقد كانت ذات أشكال عديدة: منها التقدير، ومنها التكريم الأدبي، ومنها الجوائز والمكافآت المادية. فمن صنوف التقدير: المدح والتشجيع، والثناء والشكر. وكان من مظاهر التكريم الأدبي، يحمل الصبي على حصان أو بعير، وقد ارتدى أزهى ملابسه، ويحيط به اخوانه وأقرانه، ويسير ذلك الموكب في الشوارع الهامة بالمدينة، ويطل الناس من النوافذ والشرفات لتحية الموكب، وتكريم الصبي النابه، وكثيرا ما يلقون على الصبي وموكبه، البندق والجوز وأمثالها من الأشياء.

ويذكر المقريزي: أن الخليفة الظاهر، أمر الدعاة أن يحفّظوا الناس، كتاب دعائم الاسلام ومختصر الوزير، وجعل لمن يحفظ ذلك مالا.

◦ مراحل التعليم: تنقسم مراحل التعليم في أيامنا، في معظم الدول الى أربعة: التعليم الابتدائي — التعليم الثانوي — التعليم الجامعي — الأبحاث والدراسات العليا. ومما يدعو الى الاعجاب، أن هذه المراحل، كانت متبعة ومتميزة في العصور الوسطى، عند المسلمين.

فقد وجد التعليم الابتدائي، في الكتّاب، حيث كان التلاميذ يتلقون مبادىء عامة يسيرة عن بعض الموضوعات، أما التعليم الذي يشبه التعليم في المرحلة الجامعية، في المعهد الحديث، فقد وجد في دكاكين الوراقين، ومنازل العلماء، والصالونات الأدبية.

أما المسجد، فقد وجدت فيه المرحلتان الثانية والثالثة، اذ كان يعقد فيه حلقات، تختلف مستواها: فمنها ما هو الى الاجمال والوضوح أميل، وهذه أقرب الى التعليم الثانوي، ومنها ما هو أرفع مستوى وأكثر عمقا، وتلك بالتعليم الجامعي أشبه.

وعندما أنشئت المدارس، في العالم الاسلامي، كان من الملاحظ أن مستوى المدرسة، يتوقف على مستوى من يعين للتدريس بها، على أن بعض المدارس، كالمدارس النظامية، كانت جامعية المستوى دائما، لأن أساتذتها، كانوا من خيرة الشيوخ ومشاهير العلماء.

أما المرحلة الرابعة، مرحلة الأبحاث والدراسات العليا، فقد عرفها المسلمون دون شك، ومن أبرز الشواهد عليها ما كان يجري، في بيت الحكمة، وفي بيت بني شاكر، وغيرهم من أبحاث، وما قامت هذه المراكز العلمية، من اكتشافات علمية هامة، وما خرجته من علماء شهيرين.

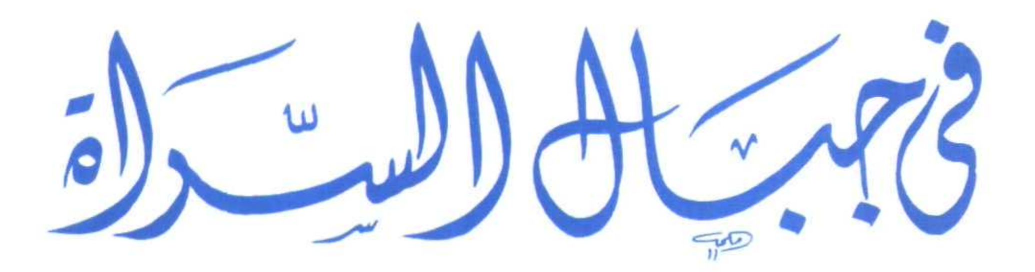
ويكفي أن نذكر، أن بيت الحكمة كان مدرسة للبحث التجريبي، المستند الى الملاحظة والتجربة، وانها كانت مزيجا من جامعة ودار كتب ومكتب ترجمة، ولقد ترجمت فيها كتب جالينوس وهيبوقراط وأفلاطون، وأرسطو، وغيرهم من فلاسفة اليونان، كما كانت مهدا لتلك المدرسة العلمية الكبيرة، التي عرفت باسم مدرسة بغداد.

الخاتمة

يمثل الاستعراض السابق، لأساليب التربية، والتي تضمنت سن التعليم، والعقل والجسم، وطريقة التعليم، وتوجيه الطلاب حسب مواهبهم، والعقوبات، والمكافآت، ومراحل التعليم، بعض جوانب ما خلفه العرب المسلمون، في بحث الأساليب والطرائق التربوية، وما ذكرته ما هو الا غيض من فيض، مما يجب بحثه في هذا المجال، خاصة أثناء الاستئناس بآراء المربين المسلمين، في سياق بنود البحث.

ولا أحد ينكر، أهمية معرفة رجال التربية والتعليم، في العصر العربي الاسلامي، لأنهم هم أصحاب الأساليب والطرائق، التي عرفها تاريخ التربية العربية الاسلامية. ومن هؤلاء الرجال:

الغزالي، وابن خلدون، وابن سحنون، والثعالبي، وابن مسكويه، واخوان الصفا، وابن سينا، وابن عبد البر، والزرنوجي، والعلموني، وغيرهم كثيرون. وكلي أمل أن أكون قد وفقت في القاء الضوء، على بعض أساليب التربية والتعليم، في تراثنا الاسلامي الخالد، وأتمنى أن يكون بحثي هذا جزءا من جهد موصول، يتجه الى المستقبل، عن طريق استيعاب تجربتنا التربوية، في الماضي والحاضر □



في جبال السراة

شعر: خليل خلايلي / الباحة

نحن في قمة يلفعها الغيم   فنبدو كأننا في السماء
نستطيب العبير في روعة الفجر   كؤوسا ممزوجة بالضياء
ونروع النسور ترتع في الأفق   على كل ذروة شماء
لا هموم الحياة تلقى سبيلا   لنفوس معمورة بالرجاء
انما العز وحده يملأ النفس   شموخا على دروب الاباء

حيثما سرت فالجمال أنيق   مستفيض الظلال والأنداء
قمة خلف قمة تتراءى   كالعذارى يمشين في خيلاء
وخرير المياه يبتعث السحر   ويشدو على لهى الحصباء
هي دنيا من الحبور وأفق   عبقري الخيال للشعراء

يا لها فتنة تطل علينا   من روابي سفوحنا الخضراء
تملأ العين بهجة وسرورا   ثم تسري على جناح ذكاء
تعبر الأفق والنسيم عليل   مفعم بالرحيق والأشذاء
يتهادى على أسرته البرك   وهمي شذا على الأرجاء[1]
فتطيب الحياة تغمرها النعمى   وتغفو على جميل الرواء

١ ــ البرك: نوع من الريحان ينبت في جبال السراة.

من كتب الصناعة عند العرب:

كتاب الفلاحة لابن بصال

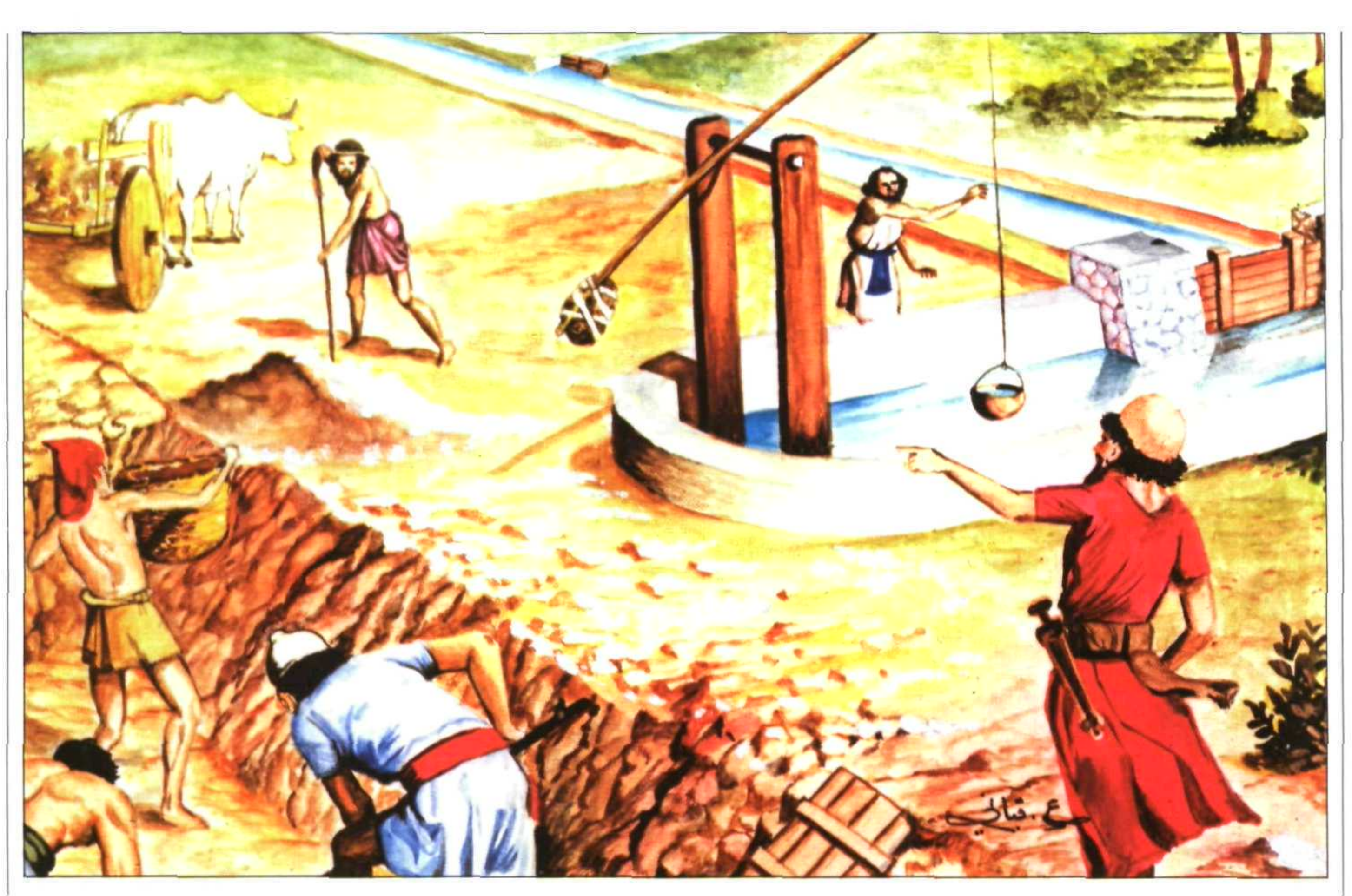
بقلم: د. نقولا زيادة / بيروت

جاء في المعجم العربي «صنع الشيء يصنعه صَنعا وصُنعا عمله.» ولهذا الجذر ثلاث كلمات مشتقة منه هي: الصناعة وهي حرفة الصانع وجمعها صناعات وصنائع، والصنع العمل، والصنعة هي عمل الصانع. ونحن في هذه المقالات سنتحدث عن الصناعات والكتب المتعلقة بها. والصناعة ضرورية في المجتمع، أيا كانت درجة الحضارة التي بلغها ذلك المجتمع. ولكل صناعة عند العرب، وعند غيرهم، كتب تبحث فيها وتتحدث عن معناها وشروطها وطرق تنفيذها.

على أنه قد يكون من المفيد لنا أن نعرض رأي ابن خلدون في الصناعة، فالرجل الذي عاش في القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي، أقام علما جديدا هو علم الاجتماع البشري، اذ ان هذا ما قصده المؤلف باشارته الى علم العمران: «وكان هذا العلم جديدا في العربية بل وفي العالم. ولكن ابن خلدون نسي بعد وفاته بقليل، ولم يقرأ لا في العربية ولا في غيرها طبعا. ولذلك فان عمله في وضع علم الاجتماع لم يكن لبنة في نظام هذا العلم لما طوّره الباحثون الغربيون من دورسيه الى أوغست كومت».

وابن خلدون يصف كتابه الأول من مؤلفه الضخم «كتاب العبر» بقوله: «انه يبحث في العمران وذكر ما يعرض فيه من العوارض الذاتية من الملك والسلطان والكسب والمعاش والصنائع والعلوم، وما لذلك من العلل والأسباب». وعندما يصل ابن خلدون الى الصنائع يقول عنها: «ان الصناعة لا بد لها من العلم. فاعلم ان الصناعة هي ملكة في أمر عملي وفكري». والأمر الأول، كما يرى، هو عملي جسماني محسوس. وهذه الأحوال الجسمانية المحسوسة نقلها بالمباشرة أوعب لها وأكمل.

أما قضية الملكة في الصناعة عامة، فانه يرى ان الملكة صفة راسخة «تحصل عن استعمال ذلك الفعل وتكرره مرة بعد أخرى.» فاذا رسخت الصورة نتيجة لهذا التكرار، جاءت الملكة قوية. وهذه القوة في الملكة تعود الى نسبة الأصل، كما تعود الى جودة التعليم



وملكة المعلم. فاذا جاد هذان حذق المتعلم الصناعة وقويت ملكته.

ويرى ابن خلدون «ان الصنائع منها البسيط ومنها المركب. والبسيط هو الذي يختص بالضروريات، والمركب هو الذي يكون للكماليات.» وفي رأيه ان البسيط هو السابق وجودا، كما أنه هو السابق في التعليم. ويتفنن ابن خلدون في تحديد هذه العلاقة بين البسيط والمركب من الصنائع فيقول: «ولا يزال الفكر يخرج أصنافها ومركباتها — أي الصنائع — من القوة أي الامكانات الى الفعل... ويتم هذا الاستنباط شيئا فشيئا على التدريج حتى تكمل، «أي تصبح مركبة. ولا بد لذلك من وقت طويل. فان «خروج الأشياء من القوة الى الفعل لا يكون دفعة واحدة». على أن هذا لا يعني ان مجرد مرور الزمن على مجتمع يقتضي، بالضرورة، ان يتقن هذا المجتمع الصناعات المركبة. فهو يؤكد على أن الانتقال من الصناعة البسيطة الى الصناعة المركبة انما يقتضي أن تتزايد الحضارة، وأن تدعو أمور الترف فيها الى استعمال الصنائع.

وابن خلدون يقسم الصناعات، من حيث انتاجها، الى نوعين: أولهما ما يختص بأمور المعاش، والذي يعنيه ما هو ضروري في العمران، ومنها الحياكة والجزارة والزراعة والنجارة والحدادة وأمثالها. وثانيهما ما يختص بالأفكار، ويسميها صناعات شريفة بالموضوع، ويدخل في عدادها الوراقة والغناء والشعر وتعليم العلم والطب والتوليد والكتابة.

وقد نجد في هذا التقسيم شيئا من الغرابة، لأننا نعيش في عصر لا يفرّق فيه المجتمع بين الصناعات هذا التفريق. على أننا يجب أن نتذكر أن ابن خلدون عاش قبلنا بستة قرون، وان بيئته قد تكون أثرت عليه. على أننا نذهب في تفسير ذلك الى أن ادخال عنصر الشرف أو صفة الشرف في بعض الصناعات، انما سببه ما في تلك الصناعات من تعقيد في تعلمها، ومسؤولية في القيام بها، ولأن انتاجها يتجاوز المأكل والملبس والفلاحة. فالفلاحة لا تعدو حرث الأرض وبذر الحب وانتظار الغوث من الله. أما صناعة الطب فتتطلب ادراكا لتركيب الجسم البشري، والتعرف الى مواضع العلة في حالة المرض، ووصف الدواء اللازم. وفي هذه المرحلة بالذات يتحمل الطبيب شخصيا مسؤولية خاصة، ان لم تكن قانونية فهي أدبية على الأقل.

وكان ابن خلدون، على ما يبدو، يرى في الأمر تسلسلا ميكانيكيا — حرث الأرض ونكشها وازدراعها وتعهد النبتة بالسقي والتنمية ثم حصاده واستخراج الثمر. ولعل هذا ما حمله على اعتبارها صناعة بسيطة. على أن المهم بالنسبة الينا، بعد هذا العرض الموجز لموقف ابن خلدون من الصناعات، ومن الفلاحة خاصة الآن، هو أن المؤلفين العرب وضعوا كتبا كثيرة في شؤون الفلاحة. وذلك بقصد ارشاد المحترفين والعاملين فيها، ليتعرفوا القواعد والأصول التي يجب أن يبني عليها العمل في كل خطوة من خطواتهم. فضلا عن أن تنوع المحاصيل الزراعية واختلاف الأحوال المناخية تدعو الفلاح الى التعرف الى آراء الذين خبروا وفحصوا وتفحصوا ودونوا.

والعرب في موقفهم من الكتابة والتأليف في الزراعة ساروا، بطبيعة الحال، على الخطة

التي ساروا عليها في تأليف الكتب الأخرى في الصناعات وغيرها. فاختلاطهم واحتكاكهم في رقعتهم الواسعة وفي ظل الدولة الاسلامية، يسّر لهم الاتصال بمصادر للمعرفة واسعة منوعة. فأخذوا عنها وبعد ذلك عمد المؤلفون بالعربية الى الكتابة الأصيلة فأغنوا المعرفة والعلم في جميع المجالات.

على أنه من البيّن أن ما وصل الى العرب من كتب الفلاحة أقل مما وصل اليهم من موضوعات المعرفة الأخرى. فعندنا كتاب الفلاحة اليونانية الذي نقله الى العربية سرجوس الرومي. وهذا الكتاب، فضلا عما يحتويه من أمور تتعلق بالأرض والبذور والحصاد والأوقات والمواعيد المناسبة للحرث والبذر والغرس والزرع وجمع الغلال، فيه أسماء البروج والشهور ومسير الشمس والقمر في البروج والمنازل. وليس في ذلك أي غرابة. اذن أن ارتباط الأعمال الزراعية بالطقوس والأزمنة والأنواء أمر طبيعي، ومعرفته مفيدة. ويأتي بعد هذا الكتاب «كتاب الفلاحة النبطية» لابن وحشية من أهل القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي. وثمة من العلماء من يرى أن هذا الكتاب هو ترجمة لمؤلف وضع أصلا عن الفلاحة في سواد العراق. وهو، على كل، بشكله العربي المعروف، دليل زراعي دقيق: من زراعة الاشتال والفسائل الى حفر الآبار والعلاقة بين زرع الأرض وتركها بورا في أوقات معينة.

ومما يجلب الانتباه أن الكثير من الكتب الزراعية الموضوعة بالعربية هي أندلسية، على الأقل بالاشارة الى ما وصل الينا. وبسبب ذلك نالت كتب الزراعة العربية (الأندلسية) عناية الباحثين الاسبان، فنقلوا عددا منها الى الاسبانية. ومن الكتب القيمة التي خلفها الأندلسيون «كتاب الفلاحة» لابن بصال، من أهل القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، وابن عبدون من رجال القرنين الخامس والسادس الهجريين/ الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين. وقد ذكر هذا أمورا كثيرة تتعلق بالزراعة في كتاب «الأسس الزراعية». وهو يدعو أمير أشبيلية الى تشجيع الزراعة واعطاء المثل الصالح في استغلال الأراضي. ويرغب في أن يعامل الفلاحون بالرفق واللين.

ولنأخذ كتاب الفلاحة لابن بصال



نموذجا لهذه الكتب العربية المؤلفة. وابن بصال طليطلي من أهل القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، والمرجح أنه توفي قبل نهاية القرن. على أن الرجل ترك طليطلة لما حاق الخطر الاسباني بها، وقبل أن تسقط بأيدي الاسبان (٤٧٨هـ/ ١٠٨٥م)، الى اشبيلية، ولعله زار قرطبة أيضا.

والذي يبدو مما كتب عن ابن بصال انه تنقل خارج الأندلس، فزار صقلية والاسكندرية في سياحته في أرجاء البحر المتوسط. وفي الاسكندرية شاهد «السوسن الأزرق». ويرجح أنه زار القاهرة أيضا. ومع أننا لا نؤكد زيارته لموانيء في شرق البحر المتوسط، فاننا لا نستغرب ذلك. فالسفر البحري في تلك العصور كان يلقي بالمسافر في أماكن لم يكن يحسب لها في برامجه حسابا.

وابن بصال كان ـــ اذا استعملنا تعبير اليوم ـــ خبيرا زراعيا. فالذي روى عنه والذي أودعه كتابه، يدلان على ذلك. وقد جرب معرفته الزراعية وطبقها في بستان «السلطان» في طليطلة. وكان ابن وافد هو المشرف على هذا البستان. ولما انتقل ابن بصال الى اشبيلية عمل بستانيا للمعتمد (٤٦١ ـ ٤٨٤/ ١٠٦٩ ـــ ١٠٩١). ولسنا ندري هل أعطي ابن بصال بستانا كان قائما للعناية به، أم أنه أنشأ بستانا جديدا. على أننا نرجح الرأي الأول لأن الفترة التي قضاها هناك لم تكن كافية لانشاء بستان وتنميته.

وكانت لابن بصال طرق عملية في معالجة الأمراض النباتية، فقد روى التغزي المعروف بالحاج الغرناطي، عن ابن بصال ان هذا أخبره ان مرضا اعترى بعض أشجار طليطلة وتركها شبه محترقة. «فقام ابن بصال بقطع جميع الأشجار المريضة واحرقها في فصل الربيع حتى لم يبق منها شيء على سطح الأرض، ولم يبق الا المغروس في الأرض. ومن ذلك الجزء نبتت فسائل جديدة، فأبقى منها ما أحب ونقل الباقي الى جهة أخرى وغرسه». وقد أشاد ابن العوّام الاشبيلي، من أهل القرن السادس/ الثاني عشر بالتجارب الزراعية التي قام بها ابن بصال.

و«كتاب الفلاحة» لابن بصال، على ما يقول محققاه بييكروسا ومحمد عزيمان «يكوّن وحدة متناسقة، ويتبع النظام الذي أصبح النظام التقليدي لجميع كتب الفلاحة الأندلسية.. فالباب الأول يذكر المياه وأصنافها وطبائعها وتأثيرها في النبات... والباب الثاني يتناول الأرضين وأنواعها وطبائعها... وفي الباب الثالث يذكر السماد وأنواعه وطريقة استعمال كل نوع منها... ويتكلم المؤلف في الباب الرابع عن الامارات التي تعرف بها جودة الأرض.. ويخصص الباب الخامس للغراسة، فيدرس فنها دراسة خبير بها... ومثل ذلك عن الباب السادس، اذ يذكر المؤلف بعض الطرق للغراسة. ويتحدث المؤلف في الأبواب السابع، الثامن، والتاسع عن تشذيب الأشجار والتلقيح واسراره... أما زراعة الحبوب والقطاني التي تزرع في البساتين فمشروحة في الباب العاشر.. الباب الحادي عشر يخصصه المؤلف لذكر البذور التي تتخذ لاصلاح الأطعمة كالتوابل.. مثل الكمون والكراويا والانيسون والكزبر... أما القثاء والبطيخ والقرع والباذنجان والبقول فهي موضوعات الأبواب الثاني عشر والثالث عشر والرابع عشر... وتنال الرياحين حصتها في الباب الخامس عشر... ويتناول المؤلف في الباب السادس عشر والأخير بعض المعارف العامة والفوائد التي يتوقف عندها أهل الفلاحة من معرفة المياه وحفظ المزروعات من ديدان الأرض وحفظ الثمار الجافة، مثل الجوز واللوز في حفر تحت الأرض ويفرش مقرها بالرمل.

وقد تعمدنا ذكر عناوين الأبواب جميعها على اعتبار ان كتاب «الفلاحة» لابن بصال كان النموذج الذي اتبع في التأليف الزراعي فيما بعد. وكتاب «الفلاحة» لابن بصال له ميزات خاصة به يمكن اجمالها فيما يلي:

* ان المؤلف سار على نظام دقيق يجعل للكتاب وحدة منتظمة.
* ان النظام الزراعي الذي يعرضه ومراحله مرتبة ترتيبا طبيعيا مطردا.
* يمتاز الكتاب بروح التجربة الشخصية والمزاولة العملية المباشرة للعمليات الزراعية والمؤلف لا ينقل عن غيره من المؤلفين.
* تجنب ابن بصال جميع المسائل الثانوية البعيدة عن التطبيقات الزراعية العملية.

ويقول المحققان: «لعل ابن بصال لم يكتسب كل هذه الملاحظات من رحلاته في المشرق وبلاد المتوسط: مصر وسورية وصقلية فحسب، بل اكتسبها قبل كل شيء في وطنه طليطلة أولا، ثم في قرطبة وأشبيلية «اذ هاجر ابن بصال اثر تعرّض طليطلة للخطر الجسيم.

هذا الكتاب مهم لا من حيث محتوياته فحسب، بل من حيث أنه يؤرخ لفن الزراعة في بلد عربي كان أحد مراكز المدنية العربية البارزة.

ولعل من الممتع، والمفيد طبعا، أن ننقل عن ابن بصال نماذج مما ورد في كتابه عن بعض أعمال الفلاحة. يقول ابن بصال: «ومن جيد أعمال الفلاحة أحكام العمل في اختزان الثمار وعلاجها حتى لا تفسد. فمن ذلك التفاح. ووجه العمل فيه أن يترك في ثمره حتى يتناهى طيبه (أي حتى ينضج) وذلك في شهر أكتوبر (تشرين الأول). ثم يجمع بالليل ويحتفظ به الا ينجرح منه شيء، ولا يتطبع فيه موضع.

أما في حقل الزراعة بالذات فقد ذكر ابن بصال عن زراعة القطن، بأن هناك طريقتين لزراعته. الأولى أندلسية فيقول عنها أن الأرض يجب أن تدبّر تدبيرا حسنا، وتدمّن بالزبل الرقيق البالي «القديم». ثم يحرز بالحرث في شهر يناير وتترك الأرض قليلا. ثم تثنّى الأرض وتثلّث حتى تنتهي الى عشر سكك. (وهذا، على ما يقول ابن بصال، نظام أهل صقلية أيضا). ثم يدخل الى الأرض فتعمل أحواضا، فاذا كانت الأرض طرية وقت الزرع فحسن، والا أدخل عليها الماء وتريثت وطيبت ثم تزرع. هذا مع وجوب العناية بالزريعة (الشتلة) قبل غرسها. أما في الشام فتدبر الأرض المعدة لزراعة القطن قبل ذلك بعام، بما أمكن من نوع الزبل الطيب البالي الرقيق النقي من الحجارة وغيرها. ثم يعمد اليها (الأرض) فتخرق بالحرث وفي شهر ابريل التالي، أي بعد قرب سنة من بدء اعدادها، تعد الأرض وتريّث بالسقي وتقام فيها الأحواض، وتحفر الأرض حفرا لطافا ويجعل في كل حفرة من الزريعة حبتين□

أحمد شوقي

وعلاقاته بأدباء العصر وشعرائه وعلمائه

بقلم : محمد عبد الغني حسن / القاهرة

يحتفل عالم الشعر والأدب هذا العام في ربوع العروبة والاسلام، بمرور خمسين عاماً كاملة على وفاة "شوقي" شاعر العروبة والاسلام، بل "شاعر العربية الأكبر" بعد "المتنبي" بأكثر من ألف عام...

ولقد كان «شوقي»، ككل واحد من الناس، رجلا له علاقات مع الناس في بيته، وفي المدرسة، وفي المجتمع المصري بما فيه من تقلبات السياسة ومكرها، ومد الأحزاب السياسية وجزرها... وبما في مصر من صراع عنيف ضد الاحتلال. وبما كان له مع القصر، من علاقة طيبة تارة، ومن مفارقات غريبة تارات.. وبما كان يحتشد في عصره من كبار الرجال، والشخصيات، من أمثال مصطفى رياض، ومصطفى فهمي، ومصطفى كامل، ومحمد فريد، والشيخ محمد عبده، والسيد توفيق البكري، ومحمد ابي شادي، وسعد زغلول، وشقيقه فتحي زغلول، والأمير شكيب أرسلان، وأحمد لطفي السيد، والصحافي الشيخ علي يوسف صاحب «المؤيد»، والمفكر اللبناني أمين الريحاني، والكاتب الناثر مصطفى لطفي المنفلوطي، والعلامة حفني ناصف، وشيخ القضاة عبد العزيز فهمي وغيرهم من الأعلام الذين ازدهر بهم ذلك العصر الذي أدرك منه «شوقي»

العقد الأخير من القرن التاسع عشر الميلادي، والعقود الثلاثة الأولى من هذا القرن العشرين الذي نعيش فيه..

وقد ازدحم عصر «شوقي» كذلك بمجموعة من الشعراء في مصر وغيرها من أقطار العروبة. ولا يخلو اجتماع هؤلاء الشعراء العظام في وقت واحد من مظنة «المنافسة» التي تقتضيها «المعاصرة» من ناحية، والتقاء «المهنة الواحدة» من ناحية أخرى.

وكان من الشعراء المصريين والعرب الذين انتظمهم سلك العصر الذي عاش فيه «شوقي» جماعة غير قليلة العدد، ولا شحيحة المدد من أمثال اسماعيل صبري، وحفني ناصف، والشيخ عبد المحسن الكاظمي، وجميل صدقي الزهاوي، ومعروف الرصافي، والأمير شكيب أرسلان، والشاعر البدوي الشيخ محمد عبد المطلب، وخليل مطران، والشيخ نجيب الحداد، وشاعر النيل محمد حافظ ابراهيم، واحمد محرم، واحمد الكاشف، واحمد نسيم، والباحث الشاعر مصطفى صادق الرافعي، والضابط عبد الحليم المصري وغيرهم. وقد كان لبعض هؤلاء الشعراء بالطبع تطلعات ومطامح الى القرب من أبواب القصور.. ولكن شوقي استطاع — بما أتاه الله من جلال الموهبة وجمالها في الشعر، ومن حسن التأني عند أصحاب الأمر، ومن لطف المداخل والمخارج مع الناس، وبما رزقه الله من حسن الحظ — أن يكون المصدر بين هؤلاء الشعراء، والامام المقدم فيهم (والأمير) المعترف له بامارة الشعر في حفل مبايعته بدار الأوبرا المصرية سنة ١٩٢٧، حيث قال فيه زميله ورصيفه وصديقه محمد حافظ ابراهيم من عينيته المشهورة:

أمير القوافي ! قد أتيت مبايعا
وهذي وفود الشرق قد بايعت معي !

وقد كنا من شهود ذلك الحفل الذي التقى فيه ممثلون لبلاد العروبة كلها، كما اجتمع فيه من يمثل شعراء المهاجر الأمريكية، فكان استقبال بيت «حافظ» بالتصفيق، الذي استمر طويلا، دليلا جماعيا على مكانة هذا الشاعر الكبير من قومه العرب في كل أرض...

وعلى الرغم من المكانة الاجتماعية المرموقة التي كان يتمتع بها الشاعر الكبير «اسماعيل صبري» ظل يعرف لشوقي مكانه، وظل شوقي يحتفظ له بالاجلال والتقدير والاحترام اللائق بشاعر كبير... فحين نجا اسماعيل صبري باشا من حادث قطار، بادر «شوقي» الى تهنئته بقصيدة رقيقة يعبر فيها عن كريم عاطفة بقوله:

اتتني الصحف عنك مخبرات
بحادثة ولا كالحادثات
بخطبك في القطار أبا حسين
وليس من الخطوب الهينات

أصيب المجد يوم أصبت فيه
ولم تخل الفضيلة من شكاة..

وكان «شوقي» الشاعر مجاملا لصديقه واستاذه الشاعر «اسماعيل صبري» في كل مناسبة تعن... فحين عيّن «اسماعيل صبري» وكيلا لوزارة الحقانية — أو العدل — بادر «شوقي» الى تهنئته بشعر يقول فيه:

لئن رفعوك منزلة فأعلى
لقد خلق الأهلة للصعود
وأقسم ما لرفعتكَ انتهاء
ولا فيها احتمال للمزيد

وبقي شوقي على علاقته الكريمة، وصلاته الآنسة الوفية بالشاعر اسماعيل صبري الى أن اختار الله لجواره هذا الشاعر الرقيق سنة ١٩٢٤، فرثاه «شوقي» باحدى قصائده العصم في الرثاء، حيث يقول مقارنا بينه وبين «الشريف الرضي» الشاعر العباسي المشهور:

فجعت ربا الوادي بواحد أيكها
وتجرعت ثكل الغدير الصافي
فقدت بنانا كالربيع مجيدة
وشي الرياض وصنعة الأفواف
ان فاته نسب (الشريف) فربما
جريا لغاية سؤدد وطراف
أو كان دون أبي (الرضي) أبوة
فلقد أعاد بيان «عبد مناف»

وعلى الرغم من التقاء الشعراء الثلاثة الكبار المتنافسين: شوقي، وحافظ، ومطران، كان شوقي حفيا بخليل مطران، مقدرا له، مثنيا عليه في كل مناسبة تسنح، فحين أنعم الخديوي عباس على «خليل مطران» بوسام رفيع سنة ١٩١٢، وأقيم حفل أنيق لتكريمه، كان «شوقي» أسبق مهنئيه في الحفل الذي أقيم بدار الجامعة المصرية القديمة حيث قال من أبيات:

لعلاك، أم لنهاك يا مطران أم
لخلالك التشريف والاكرام؟
أم للمواقف لم يقفها ضيغم
لولاك لاضطربت له الأهرام؟

وبالطبع كان «شوقي» هنا يشير من طرف خفي الى مواقف «مطران» من الحرية، والأحرار، والرقابة على المطبوعات وغيرها من المواطن التي دق فيها خليل مطران على نغم «التحرير»، بشعر

غزير... وقد بلغت علاقات الود والحب والتقدير بين الشاعرين «شوقي» و«مطران» حدا أباح لشوقي أن يداعب صديقه فيما يجدّ من مناسبات تقتضي ذلك، حتى لقد عابثه بأبيات لطيفة حين علم أنه فاز بربح من أرباح ورق (اليانصيب)، فقال:

لقد وافتني البشرى
وأنبئت بما سرّا
وقالوا عنك لي أمس
ربحت «النمرة» الكبرى
فيا مطران ما أولى
ويا مطران ما أحرى
لقد أقبلتِ الدنيا
فلا تجزع على الأخرى!!

وكثيرا ما كان «شوقي» يشيد بذكر النابهين من أدباء العروبة وشعرائها في مناسبات خاصة يستدعيها هو بلباقة وروح النصفة عنده. في قصيدته «لبنان» التي نظمها بمناسبة زيارته الصيفية سنة ١٩٢٥ لهذا القطر الشقيق الجميل الممنوح مواهب الطبيعة، عرّج على أدباء لبنان ورجال اللغة وسدنتها فيه قائلا:

بلغ السها بشموسه وبدوره
لبنان، وانتظم المشارق صيته
من كل عالي القدر من أعلامه
تتهلل الفصحى اذا سميته
حامي الحقيقة، لا القديم يؤوده
حفظا، ولا طلب الجديد يفوته..

وفي قصيدته الأخرى الكافية التي يتغنى ببعض أبياتها وعنوانها «زحلة» وقد نظمها بمناسبة مصطافه في تلك المدينة الجميلة سنة ١٩٢٧ — نراه يعرّج في كياسة وحسن انصاف على أدباء زحله وشعرائها فيمدحهم، ويشجع آثارهم بقوله:

ركز البيان على ذراك لواءه
ومشى ملوك الشعر في مغناك
أدباؤك الزهر الشموس ولا أرى
أرضا تمخض بالشموس سواك
من كل أروع علمه في شعره
ويراعه من خلقه بملاك
جمع القصائد من رباك، وربما
سَرَقَ الشمائل من نسيم صباك!

ومن باب تشجيع «شوقي» في شعره لأدباء الشباب وشعرائه ورواته ما خاطب شباب «دار العلوم» التي عاشت حصنا للعربية، والتي قال عنها الامام محمد عبده (ان اللغة العربية تموت في كل مكان، وتحيا في دار العلوم). فقد وجه الى شبابها الخطاب في عيدها الخمسيني سنة ١٩٢٧ قائلا:

يا شبابا سقوني الود محضا
وسقوا شانئي على الغل أجنا[1]
كلما سار للكهولة شعري
أنشدوه فعاد أمرد لدنا
أسرة الشاعر الرواة وما عنَّـ
ـوُه[2] والمرء بالقريب معنّى

ويقصد «شوقي» هنا بشانئيه جماعة التجديد من أيام حملة جماعة «الديوان» وعلى رأسهم العقاد، والمازني، وشكري... ولكن «شوقي» ظل على شموخه لا يبالي بهم ولا بحملاتهم الى أن لقي وجه ربه الكريم سنة ١٩٣٢.

ويدخل في باب علاقة «شوقي» مع شعراء عصره وأدبائه موقفه الكريم من جماعة «أبولو» التي كانت لها مجلة بهذا الاسم يرأس تحريرها الدكتور احمد زكي باشا أبو شادي، فقد كانت تلك الجماعة الشعرية المجددة تضم الكثيرين من أنصار القديم والحديث، وتجمع المحافظين والمجددين في اطارها الموحد، على الرغم من اختلاف طرائقهم وغاياتهم في الشعر. ولكن «شوقي» استقبل الجماعة بقصيدة مشجعة صافية يقول فيها:

عكاظ! وأنت للبلغاء سوق
على جنباتها رحلوا، وحلوا
وينبوع من الانشاد صاف
صدى المتأدبين به يبل
ومضمارٌ يسوق الى القوافي
سوابقها اذا الشعراء قلّوا
يقول الشعر قائلهم رصينا
ويحسن حين يكثر، أو يقل
ولولا المحسنون بكل أرض
لما ساد الشعوبُ ولا استقلوا..

ولولا وفاء «شوقي» وعلاقته الكريمة دائما بشعراء عصره، وحسن التفاته اليهم، لما كان موقفه الجميل من الشاعر البائس «محمود أبو الوفا» حين قامت حكومة صدقي باشا سنة ١٩٣١ بتسفيره الى أوربا لعمل ساق صناعية له بدلا من ساقه المبتورة. فقد حياه «شوقي»، في حفل عام أقامته «رابطة الأدب الحديث»، بقصيدة كريمة يقول فيها:

---

١ — الأجن: بسكون الجيم، الماء المتغير الآسن
٢ — عنّوهُ: كلفوه العناء والتعب

سبّاق غايات البيان جرى بلا
ساق، فكيف اذا استرد الساقا؟
لو يطعمُ الطبُ الصناعُ بيانَه
أو لو يسيغُ لما يقول مذاقا
غالى بقيمته، فلم يصنع له
الا الجناح محلقا، خفاقا..

ولعل هذا الموقف النبيل من «شوقي» قد وجد فيه الشاعر «ابو الوفا» بعض العزاء عما لقيه من الدكتور طه حسين من استخفاف به، وازراء عليه، وانكار لقيمة شعره.. حين نقد بعض دواوينه.

ويبدو من تتبعنا لسيرة «شوقي» أنه كان كثير الوفاء لأصدقائه، وأنه كان حريصا على استبقاء مودات أصحابه. وظل هذا طبعه طوال حياته — حتى على الرغم مما غمر به في علاقته مع صديقه شاعر العراق الكبير الشيخ «عبد المحسن الكاظمي» الذي قال فيه نثرا سنة ١٩٠٢: (... نظرته شعر، ومنطقه شعر، وجلسته شعر، وضحكته شعر، ومشيته شعر. وهو في كل ذلك يحبب الى النفس الشعر... وليس بين أدباء هذه العاصمة[٣] وأفاضل القوم فيها من يجهل الشيخ عبد المحسن البغدادي، فهو قمر بغداد الذي لم يكن يخفى في مصر، وهي أعظم أفق في الشرق تتجلى فيه أقمار الأدب العربي وشموسه..». ولولا احساسنا بصدق صديقنا وأستاذنا الشيخ عبد القادر المغربي رئيس مجمع اللغة العربية بدمشق[٤] لقلنا ان ما نسب الى «شوقي» من موقف غير منصف ضد الكاظمي عند الخديوي عباس هو مجرد أوهام، ولغو كلام... والواقع الذي لا شك فيه أن «شوقي» لم يبخل على شاعر أو أديب من أدباء عصره بلفتة ود، أو عبارة تقدير، مهما كانت ظروفهم الخاصة التي طرحها شوقي وراء حسبانه. وهل ننسى مقطوعته الرقيقة المنصفة التي حيا بها ديوان الشاعر المصري (احمد العاصي) الذي دفعه اليأس من الحياة الى الانتحار. وكأنما كان «شوقي» قد تنبأ بذلك من روح التشاؤم في الديوان فقال ينصح الشاعر الشاب:

يشكو الزمانَ لنا. فيا لكَ يافعا
ناءت بميعته هموم زمانه
ولتعلمن اذا السنون تتابعت
ان التشكي كان قبل أوانه..

وحينما أصدر الأديب كامل كيلاني — رائد أدب الأطفال في العالم العربي — ديوان الشاعر ابن زيدون مهذبا بقلمه ومشروحا بعبارته، لم يضن عليه «شوقي» بتحية يقول فيها عن الديوان:

جاءنا كامل به
عربيا مهذبا
تجد النص معجبا
وترى الشرح اعجبا

على أن علاقة «شوقي» الطيبة بشعراء عصر وعلمائه ومفكريه قد تجلت واضحة في تنبهه لافراحهم وأحزانهم، فهو يهنيء ويرثي ويعزي حين يرميهم الزمان بما يسر أو يسوء... وهل ننسى مراثيه الخالدات لمصطفى كامل، وحافظ ابراهيم، ومحمد المويلحي، وعمر لطفي، والمنفلوطي، وقاسم أمين، ومحمد تيمور، ويعقوب صروف، والشيخ محمد عبده، واسماعيل صبري، والشيخ عبد العزيز جاويش، وعبد الحميد أبي هيف، والشاعر البدوي محمد عبد المطلب وغيرهم ممن لا يتسع المقام لذكرهم؟

واليقين الثابت عندنا أن «شوقي» كان يجعل فوق حق الصداقة حقوقا أخرى يؤثرها عليها، ويعطيها الأحقية فوقها... كحق «الوطن» و«الوطنية». فنحن نعلم صلته القديمة بالشيخ «عبد الكريم سلمان» المحرر بالوقائع المصرية، وزميل سعد زغلول والأستاذ الامام، والعضو بالمحكمة الشرعية العليا. وهي صلة قديمة أكدها «شوقي» حينما أهدى رسالته «شيطان بنتاؤور» اليه سنة ١٩٠١ مع هذين البيتين:

حتى اذا اتممتها أهديتها «عبد الكريم»
وأنا المقر بفضله الذاكر الحقَّ القديم..

ولكن الشيخ «عبد الكريم» حينما تورط في «السياسة»، وانزلق الى صفوف المؤيدين للورد «كرومر» المندوب السامي البريطاني، وصار من المصفقين له في حفل الوداع الذي أقيم له بدار الأوبرا سنة ١٩٠٧ لمغادرته مصر معزولا بمناسبة حادثة دنشواي — لم يستطع شوقي أن يغضي عن مهازل الشيخ السياسية ومخازيه، فتناوله بالغمز والهجاء في كثير من شعره، وخاصة في لاميته التي يخاطب فيها «اللورد كرومر» مودعا ومتهكما:

فرعون قبلك كان أعظم سطوة
وأعز بين العالمين قبيلا..

وهكذا كان شوقي رحمه الله ينزل الصداقة والمودة منازلها الحق، مع مراعاة لكل الظروف والاعتبارات □

٣— يقصد شوقي مدينة القاهرة التي كان الكاظمي نزيلا بها شطرا من عمره
٤— توفي الى رحمة الله سنة ١٩٥٦، وابنته وربيته في الحفل الذي أقيم في قاعة الجامعة العربية سنة ١٩٦٧ لمرور مائة عام على مولده..

أثر التنمية الصناعية في التحضر

بقلم : د. لطفي بركات أحمد / أبها

يرى معظم المفكرين ان هناك ارتباطا وثيقا بين التنمية الصناعية والتحضر، فللصناعة تأثير فعال على جوانب التحضر وفي نمط النمو الحضاري وذلك في النمو الاقتصادي المتضمن في الحضر، ومما يزيد في طبيعة العلاقة بين التنمية الصناعية والتحضر تعقيدا أنها لا تشترط توقيت مناسب لعمليتي التحضر والتنمية الصناعية، فغالبا ما نجد اليوم أن التحضر المعاصر يسبق التصنيع باستثناء بعض الحالات الخاصة مثل تأسيس مدن جديدة لانشاء مصانع للحديد والصلب وغيرها.

وفي اطار دراستنا للعلاقة بين التنمية الصناعية والتحضر، يمكننا تحديد مفهوم التحضر كما يراه المتخصصون حيث يعرفونه بأنه العملية التي يتم بها زيادة سكان المدن مع تغير أسلوب الحياة من حياة ريفية الى أخرى حضرية [١]، ويمكن تعريف درجة التحضر بأنها نسبة سكان المدن لمجموع السكان في مجتمع ما في وقت معين، فالنمو الحضري هنا معناه زيادة في عدد سكان المدن، أما التحضر فهو العملية التي تتم بها هذه الزيادة بما في ذلك التحول من الحياة الريفية الى الحياة الحضرية [٢]. ومعنى هذا أن السمة الاساسية للتحضر تكمن في عملية الانتقال من المهن الزراعية والاشتغال بمهن أخرى قائمة في المدن ولعل ذلك ما دفع أرنولد جرين — **Arnold Green** الى القول بأن التصنيع والتحضر يسيران جنبا الى جنب. [٣]

والمجتمع الصناعي مجتمع متحضر، وحينما نتحدث عن المجتمع الصناعي المتحضر فاننا نقصد بذلك المناطق المتروبولية [٤] والوحدات المحلية التابعة للمدن وكذلك الضواحي التي يقيم فيها غالبية المهاجرين الجدد حيث يكون مركز المدن قد امتلأ عن آخره بالبشر، مما يضطر معظم المهاجرين الى الاقامة في هذه الضواحي، وفي هذا الصدد يتحدث بيتر مان — **Peter Mann** عن المجتمع الحضري حيث يقول: «ان أغلب المجتمعات المتقدمة في استخدام النواحي الفنية وكذلك أغلب الدول النامية في العالم أصبحت أكثر تحضرا، فعندما نقرأ مثلا أن الولايات المتحدة الأمريكية أصبحت أكثر تحضرا فهنا يخيّل الينا أن أكثر الناس يعيشون في المناطق الحضرية اذا ما قورنوا بالمناطق الريفية، ومن هنا أصبحت المناطق الحضرية أكثر أهمية من المناطق الريفية» [٤]

والحقيقة أن معظم المجتمعات الصناعية لديها من المصادر البشرية ما هو لازم للعمل الصناعي، وعلى هذا الأساس ينظر الى العامل الصناعي على أنه قوة انتاجية وعنصر تنموي، ولقد حدد «كير — **Keer**» أربعة أنماط توضح ديناميات التحاق الفرد بالعمل الصناعي وهي: [٤]

أولا: التحاق الفرد بالعمل الصناعي متطوعا — **Recruitment**، ومن أمثلة هذا النمط ما قدمه لنا «فوريان» في بحث له حيث يوضح لنا أن الفلاحين البولنديين قد هاجروا بغية العمل لأسباب متعددة باحثين عن الأعمال التي تدر عليهم الدخول الكبيرة، وقد حدث هذا أيضا في كندا واستراليا.

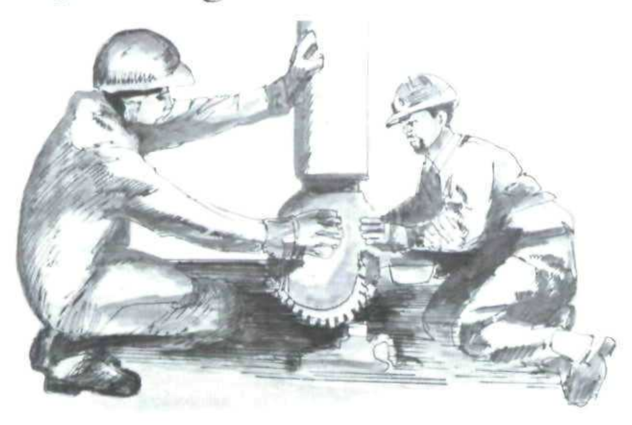
ثانيا: التحاق الفرد بالعمل الصناعي ملتزما — **Commitment**، ويقصد بهذا النمط التزام العامل بالبقاء في عمله حكوميا كان أم خاصا أم زراعيا بحكم وجوده في القرية، وعلى ذلك يكون عضوا دائما في العمل الصناعي.

ثالثا: التحاق الفرد بالعمل الصناعي مترقيا — **Advancement**، ويقصد بهذا النمط الخاص بترقية المصادر البشرية أنه من الأهمية بمكان في أي عملية من عمليات التنمية الصناعية وهي في نفس الوقت استثمار للوقت والطاقة والمبالغ المنفقة في التعليم والتدريب، فالإلتزام ليس وحده كافيا لبناء العمال الصناعيين الأكفاء، فهم في حاجة الى مهارات محددة ومتطورة.

ويمكن أن تقدم المصادر البشرية للعمل الصناعي خدمات جليلة من خلالا طرق ثلاث وهي:

* العلم الذي يحاول العمال الارتقاء فيه بأنفسهم.
* التزود بقدر من التعلم من المجتمع المحلي.
* التدريب المتواصل من خلال مديري المشروعات والمسئولين عن تنفيذ المشروعات الاستثمارية.

وفي بعض الحالات يحاول العامل الارتقاء بنفسه عن طريق مجهوده الخاص، ففي كثير من الحالات يحاول العامل الصغير أن يتعلم مهنته من العامل الأكبر سنا والأكثر خبرة، وهنا تؤدي الجامعات والمدارس ومعاهد التدريب دورا بارزا في اثراء المصادر البشرية اللازمة للعمل الصناعي بما يخدم مهنهم، ونخص بالذكر المدارس الصناعية والفنية والمؤسسات الأخرى، لذا فان مهمة الجامعات والمعاهد الصناعية لا تقف عند تخريج العلماء والمهندسين لكن مهمتها تمتد الى تخريج الأفراد الذين لديهم



المعارف المختلفة عن التنظيم والكفاءة والادارة التي تتيح لهم فرص العمل في شتى الميادين.

رابعا: التحاق الفرد بالعمل الصناعي محافظا — Maintenance وهذا النمط يسهم بدوره في بناء قوة العمل الصناعي وهو المحافظة على الرفاهية العامة والأمن لكل الأفراد. في المراحل الأولى للتنمية الصناعية، تقدم الحماية للقوة العاملة وهنا يصبح العامل عالة على غيره اذا تعرض للمرض أو التشرد أو الانحراف. ومن هنا كان عامل الحماية والأمن من العوامل الأساسية لنجاح العمل الصناعي.

وعلى ضوء هذا كله يتضح لنا أهمية الحضارة الحديثة الصناعية بثورتها الفنية لأنه عن طريق الصناعة يحدث انتقال كلي لمفاهيم الحياة ليس فقط في النواحي الفنية والادارية والتنظيمية لكن أيضا في عادات وتقاليد وأعراف هؤلاء وكذلك في كل مظاهر السلوك الاجتماعي، فالصناعة تساعد في بناء مناطق حضرية واسعة تجعل امكانية تزايد تعداد السكان أمرا محتملا، والتأقلم مع مستوى جديد للحياة أمر ممكن، واكتساب مهارات في المجالات الفنية والاجتماعية أمر متيسر. ومن هنا وجبت أن تكون هناك شبكة من القواعد المرشدة للعمال في أداء أدوارهم وتوثيق صلاتهم المتعددة والضرورية لنموهم واكتساب ثقافتهم الجديدة.

واستنادا الى هذا كله، يمكننا من عرضنا السابق تلخيص طبيعة العلاقة بين التنمية الصناعية والتحضر في النقاط التالية:

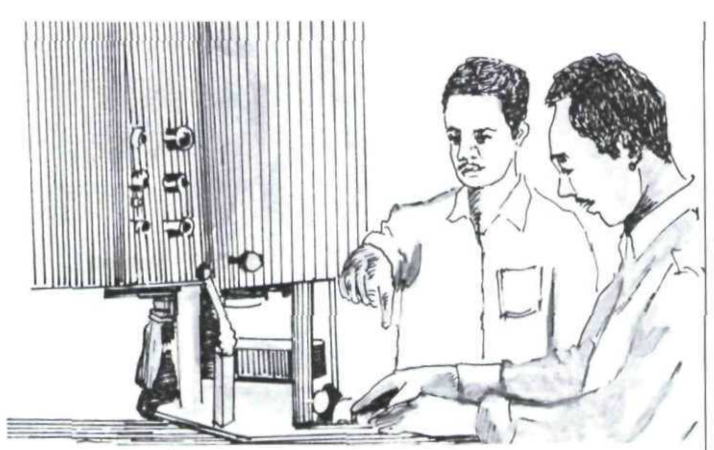
* تعتبر التنمية الصناعية قوة دينامية رئيسية تسود معظم أجزاء العالم، وهي بهذا تعد جزءا أساسيا في عملية التحضر التي تشمل التنمية الاجتماعية والثقافية.

* ان التنمية الصناعية متوفرة في كل مجتمع تتوفر فيه التكنولوجيا بغض النظر عن الخلفية التاريخية لهذا المجتمع. فالمجتمعات الصناعية بكل متغيراتها تكون أكثر تشابها مع نظرائها تماما كما يحدث تشابها بين المجتمعات غير الصناعية مع نظرائها.

* ان المجتمعات المختلفة أخذت وما زالت تأخذ طريقها نحو الصناعة، وهذا الدور من الأدوار الرئيسية التي يقوم بها الصفوة الذين يضطلعون بتنظيم العملية الصناعية.

* هناك بعض المفاهيم المتعلقة بالتصنيع في كل مجتمع وحتى في كل جزء من أجزائه. وعلى سبيل المثال يعرف «فيرشيلد» التصنيع بقوله: «إنه عملية التقدم التكنولوجي عن طريق استخدام العلم التطبيقي» [٦]، بينما يعرفه «مور» بأنه مجموعة الانتاجات التي يقوم بها نظام المصنع بفضل القوة الميكانيكية.[٧]، ويعرفه «بيرجس». بأنه الانتقال من مرحلة الزراعة الى مرحلة الصناعة الحديثة المنظمة التي تطبق العلم والتكنولوجيا وتؤدي دورا أساسيا في الانتاج وفي مختلف فروع المجتمع وما يترتب على ذلك من تحول في وظائف المجتمع وتركيبه وأساليب معيشته [٨].

* ان الصناعة أصبحت ظاهرة اجتماعية خارجية، وعلى هذا يمكن النظر الى المصنع على انه نظام اجتماعي مركب من



علاقات اجتماعية متبادلة تتصف بصفة الكلية لأن كل جزء يحمل علاقة مساندة ومتبادلة ومتناسقة مع كل جزء آخر. ولقد وضح ذلك في العديد من الدراسات والبحوث نذكر منها على سبيل المثال «دراسة» لويد وارنر» عن المصنع الحديث كنسق اجتماعي.

W. Lloyd Warner — The Social System of the Modern Factory;

ودراسة ولبرت مور عن العلاقات الصناعية والنظام الاجتماعي

Wilbert; E; Moore—Industrial Relations and the Social Order.

وغيرها من الدراسات العديدة.

* ان الصناعة لها آثارها الاجتماعية المتمثلة في انتاج وسائل النقل والمواصلات مما له أثره في تقريب شقة الاختلاف بين القرية والمدينة، كذا الخدمات السلكية واللاسلكية لها أهميتها من خلال الخدمات التي تؤديها مثل تبادل الأفكار والتبادل الثقافي والحضاري بين دول العالم.

وفي نهاية المطاف يتبين لنا أن هناك علاقة وثيقة بين التنمية الصناعية والتحضر ولكن يجب ألا يفهم من دراستنا هذه أن هناك علاقة سببية بينهما ولكن بأي من الأحوال يعتبر التحضر ظاهرة واضحة ومترتبة على وجود الصناعة الى جانب متغيرات أخرى □

مصادر الدراسة حسب ترتيب ورودها

١ — د. محمد الجوهري — مجتمع المدينة في البلاد النامية — القاهرة — نهضة مصر ١٩٧٢ ص ١١٤.

٢ — د. عبد المنعم شوقي — الاجتماع الحضري — القاهرة — مكتبة القاهرة الحديثة ١٩٦٧ ص ٤٣.

3. Arnold; W; — Soriology — an analysis of life in modern society — Toronto; 1956; P. 374

4. Peter, Mann — an approach to urban sociology — routledge and kegan Paul; London; 1956; PP. 69 — 71

5. Clark Keer and John Dunlop — Industrialism and Industrial Man — Roy Haddon; 1973; PP. 173 — 175

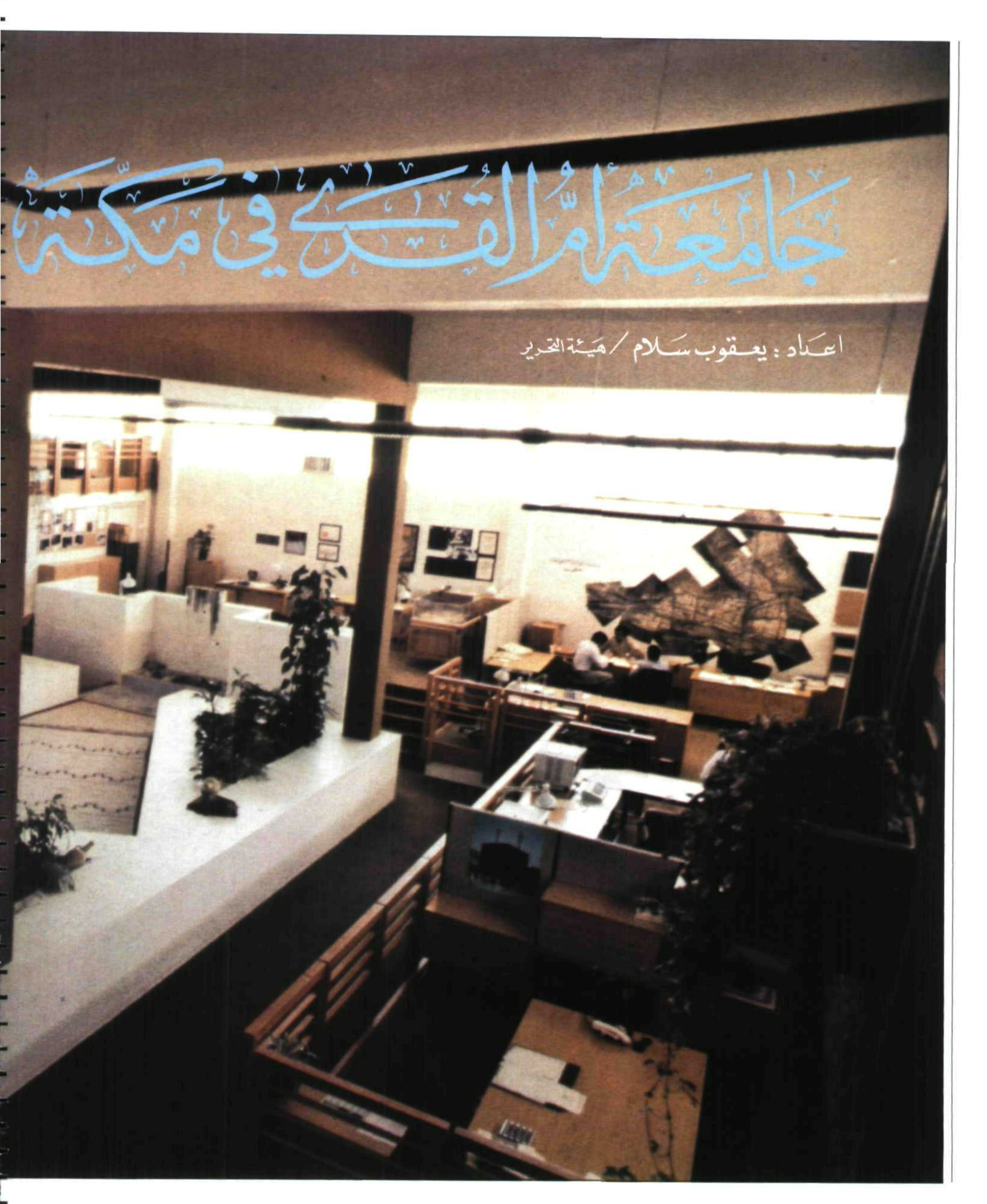
٦ — د. حسن الساعاتي — التصنيع والعمران — القاهرة — دار المعارف ١٩٥٨ ص ٢

7. W; E; Moore — The Impact of Industry — London; 1965; P. 4

8. Burgess; E; — The Family — American Book Com; 1973; P. 99

جامعة أم القرى في مكة

اعداد : يعقوب سلام / هيئة التحرير



مَنارة علم في مهبط الوحي، ولبنة أخرى متينة في صرح النهضة التعليمية في المملكة، تحتضنها أشرف بقعة اسلامية على وجه الأرض في أم القرى، مكة المكرمة.

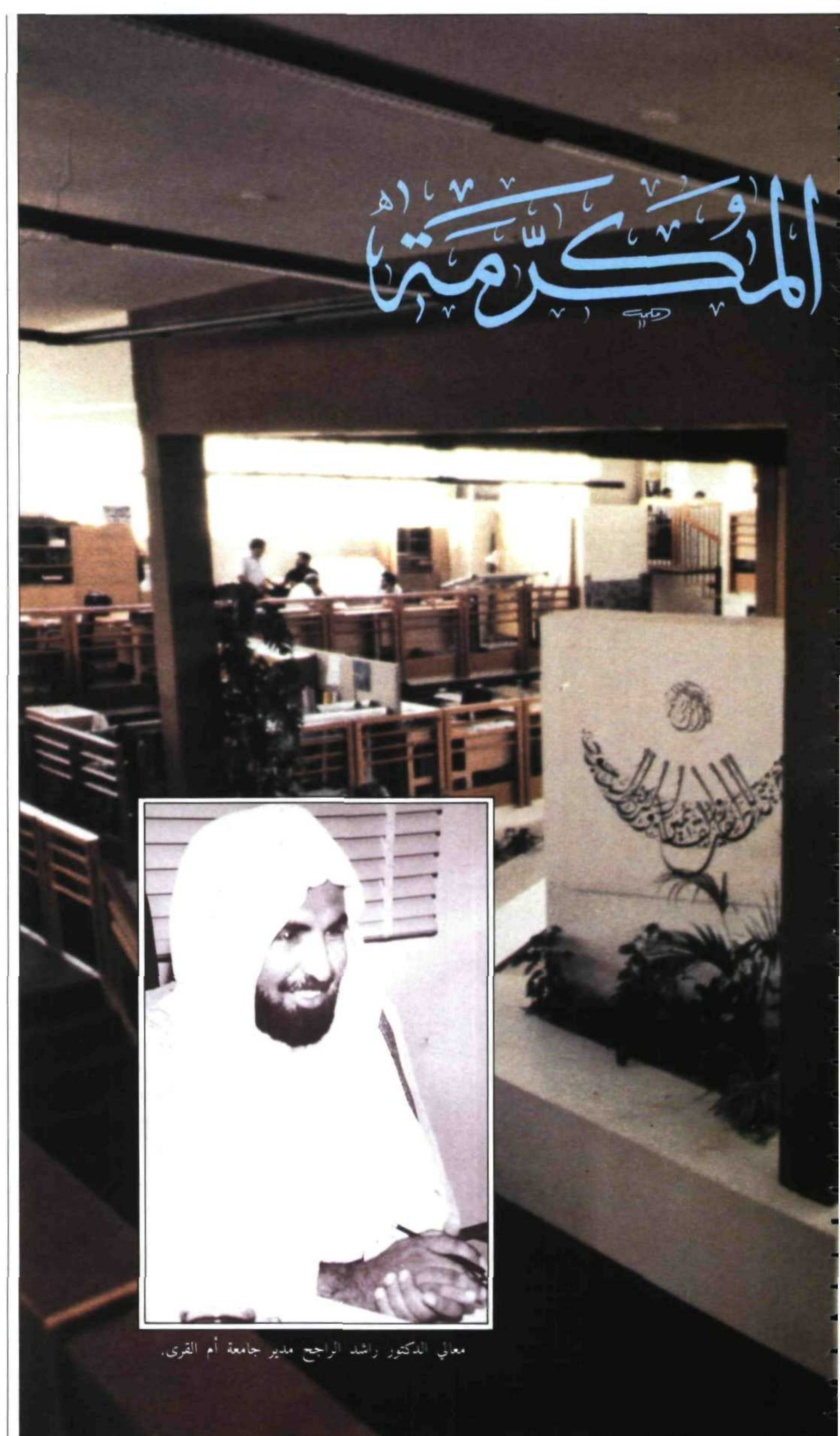
والمملكة انطلاقا من ايمانها المطلق بمبدأ تأمين العلم المجاني لجميع أبنائها، وباعداد المواطن السعودي المسلم للمساهمة في تنفيذ مخططات التنمية الطموحة، أخذت على عاتقها بناء صرح تعليمي شامخ يسهم مع الصروح التعليمية الأخرى في مواكبة مسيرة التقدم التي تعيشها المملكة في شتى المجالات.

جامعة أم القرى

ليس من شك في أن جامعة أم القرى في مكة المكرمة هي في الواقع أقدم وأعرق جامعة في المملكة، كما أنها في الوقت نفسه أحدث هذه الجامعات،فهي تضم أول كلية أنشئت في المملكة العربية السعودية، هي كلية الشريعة والدراسات الاسلامية التي أنشئت في عام١٩٦٩هـ في عهد جلالة المغفور له الملك عبد العزيز. كما تضم أيضا كلية التربية وهي ثاني كلية أنشئت في المملكة.

أما كونها أحدث الجامعات في المملكة، فذلك يرجع الى قرار مجلس الوزراء الصادر في الثاني والعشرين من عام ١٤٠١هـ والذي أنشئت بموجبه جامعة أم القرى في مكة المكرمة.

كانت جامعة أم القرى قبل أن تحمل اسمها الجديد، يوم ان كانت تتألف من كليتين رئيسيتين هما كلية الشريعة والدراسات الاسلامية، وكلية التربية، كانت تمثل فرعا لجامعة الملك عبد العزيز بجده. ولما صدر قرار انشائها، توسعت الجامعة وتم انشاء كليات جديدة فيها اضافة الى انشاء معاهد ومراكز علمية جديدة، وأصبحت مستقلة في كيانها وميزانيتها أسوة بزميلاتها الجامعات الأخرى المنتشرة في المملكة.



معالي الدكتور راشد الراجح مدير جامعة أم القرى.

تقع مباني جامعة أم القرى في منطقة العزيزية بمكة المكرمة التي تبعد عن قلب العاصمة المقدسة بضعة كيلومترات. وهي تتألف من عدد من المباني المتناثرة في المنطقة لكنها قريبة من بعضها البعض. وتضم المنطقة جميع المباني التي تحتاجها الجامعة لكلياتها الست ومراكز الأبحاث المتعددة فيها، ويجري حاليا العمل على اقامة المزيد من المباني لاستيعاب الأعداد المتزايدة من الشباب السعودي وأبناء المقيمين في المنطقة الذين تغص بهم أروقة الكليات والمراكز العلمية الأخرى التابعة للجامعة، وتمنح الجامعة درجة البكالوريوس والماجستير والدكتوراه في عدد من العلوم الدينية والانسانية.

لقد أولت جامعة أم القرى منذ بداية عهدها الاهتمام اللائق بالفتاة، وقد افتتحت لذلك قسما للطالبات. وتقع مباني الطالبات بعيدا عن المباني الجامعية الخاصة بالطلبة، وتشرف على تدريسهن نخبة من المدرسات القديرات اضافة الى الاستفادة من شبكة التلفزيون المغلقة. وبقسم الطالبات نفس التخصصات الموجودة بقسم الطلاب باستثناء بعض التخصصات النادرة مثل الهندسة والقضاء. ويتراوح عدد الطالبات في مختلف أقسام الجامعة حوالي ٣٦٠٠ طالبة. وبامكان الطالبة بعد حصولها على درجة البكالوريوس أن تواصل دراستها لكي تحصل على درجتي الماجستير والدكتوراة.

وخلال زيارة القافلة لجامعة أم القرى في مكة المكرمة، التقى مندوبها بعدد من المسؤولين فيها، وفي مقدمتهم معالي الدكتور راشد الراجح مدير الجامعة الذي تحدث عن تاريخ نشأة الجامعة ورسالتها والأهداف التي تسعى الى تحقيقها فقال: «ان جامعة أم القرى هي أقدم جامعة لأنها تضم أول كلية أنشئت في المملكة العربية السعودية، هي كلية الشريعة والدراسات الاسلامية، وبها أيضا ثاني كلية في المملكة، هي كلية التربية. وهي أحدث جامعة لأنها أنشئت في ٢٢ من شهر جمادى الثاني عام ١٤٠١هـ بمرسوم ملكي في عهد جلالة المغفور له الملك خالد بن عبد العزيز.

وليس في الجامعة دراسة بالانتساب، وانما هناك ما يسمى بالتفرغ الجزئي على نظام الساعات المعتمدة، والذي حل محل الانتساب، وتتوفر في قسم الطالبات نفس التخصصات الموجودة في قسم الطلاب باستثناء بعض التخصصات في قسمي الهندسة والقضاء. ويتم التدريس بقسم الطالبات عن طريق الشبكة التلفزيونية المغلقة حيث يجلس الدكتور المحاضر في قاعة مخصصة وتنقل محاضرته فورا الى قسم الطالبات والى عدة صالات أخرى. أما بالنسبة للمدرسات فيقمن بالتدريس مباشرة. وهناك عدد كبير من الطالبات في الجامعة يتجاوز عددهن ٣٦٠٠ طالبة. أما عدد الطلاب والطالبات في الجامعة، فقد بلغ خلال العام الدراسي ١٩٨٢/١٩٨٣ حوالي ٨٠٠٠ طالب وطالبة.»

وحول مشاريع الجامعة المستقبلية، قال الدكتور الراجح: «ان الموقع الحالي للجامعة هو موقع مؤقت، وسيكون هناك موقع جديد يكون عبارة عن حرم جامعي. وقد وافق جلالة الملك فهد بن عبد العزيز المفدى على تحديد موقع للمدينة الجامعية لأم القرى، وتحدد الموقع بالفعل وهو قريب من هذا المكان على طريق الطائف. وقد خصصت مساحة واسعة لاحتواء جميع وحدات الجامعة الأكاديمية والادارية والسكنية. وسيضم الموقع أبنية سكنية للطلاب وأعضاء هيئة التدريس، وموقعا خاصا

١ ـ عينات من الصخور معدة للفحص في معمل قسم الجغرافيا لاجراء الدراسات التحليلية اللازمة عليها.

٢ ـ طالب في معمل الصور الجوية التابع لقسم الجغرافيا يتفحص احدى الصور الجوية لطبقات الأرض.

٣ ـ الدكتور عبد العزيز صقر رئيس قسم الجغرافيا.

٤ ـ مجموعة من طلاب قسم الجغرافيا بجامعة ام القرى

٥ ـ الدكتور علي عباس الحكمي عميد كلية الشريعة والدراسات الاسلامية.

١



٢




٣

للطالبات بعيدا عن موقع قسم الطلاب، اضافة الى انشاء المستشفى الجامعي. أما رسالة الجامعة الاساسية فتقوم على الدراسات الاسلامية ولا مانع في أن تكون هناك دراسات تطبيقية بجانب الدراسات الاسلامية والعربية ما دامت تخدم الفكر الاسلامي وفي اطار الشريعة الاسلامية ولا تتنافى مع التعاليم الدينية.

هذا ويبلغ عدد أعضاء الهيئة الأكاديمية أكثر من ١١٠٠ ما بين أستاذ وأستاذ مساعد وأستاذ مشارك ومحاضر ومعيد في قسم الطلاب وقسم الطالبات، وهناك حوالي ١٥٠ من حملة الدكتوراة من السعوديين المشاركين في التدريس. وقد خرّجت كليتا الشريعة والتربية من قديم أفواجا عديدة من الخريجين والخريجات، أمثال معالي الشيخ حسن آل الشيخ وزير التعليم العالي والرئيس الأعلى للجامعات،فهو ابن هذه الجامعة عندما كانت كلية. وقد تخرجت ثلاث دفعات منذ أن أصبحت أم القرى جامعة. كما ضم الى جامعة أم القرى مؤخرا مركز أبحاث الحج، في جدة.

وتحتضن جامعة أم القرى ست كليات هي: كلية الشريعة والدراسات الاسلامية، وكلية اللغة العربية وآدابها، وكلية الدعوة وأصول الدين، وكلية التربية بمكة المكرمة، وكلية العلوم التطبيقية والهندسية، وكلية التربية بالطائف اضافة الى معهد اللغة العربية والعمادات والمراكز والادارات التي تقدم خدماتها للطلاب والطالبات ومراكز الأبحاث العلمية واحياء التراث الاسلامي ومركز أبحاث الحج.

٤





٥



كلية الشريعة والدراسات الاسلامية

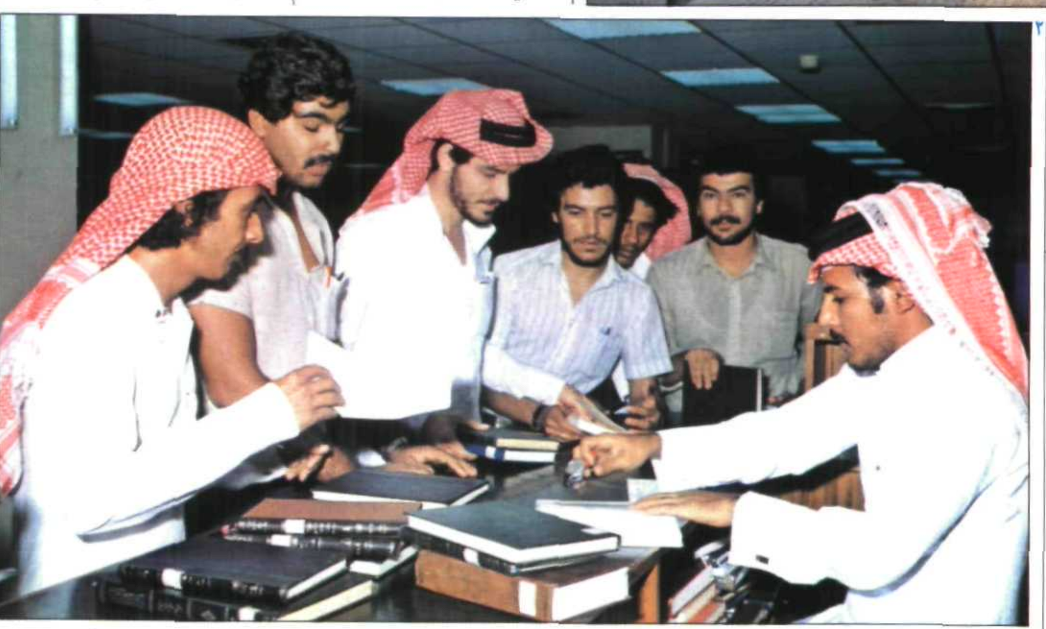
هي أول لبنة في صرح التعليم في المملكة، وتعتبر الركيزة الأساسية للدراسات العليا فيها، وهي أيضا أول كلية جامعية أنشئت في مكة المكرمة وبدأت التدريس في عام ١٣٦٩هـ. وتخرجت أول دفعة منها في عام ١٣٧٢هـ حيث بلغ عدد المتخرجين آنذاك أربعة عشر طالبا. وقد خرجت الكلية أفواجا من الرجال حملوا مشاعل العلم وواصلوا مسيرة التعليم في ربوع المملكة، ومنهم من شغل مناصب التدريس في العلوم الدينية والثقافية، ومنهم من تقلد مناصب القضاء وغير ذلك من الوظائف الهامة التي كانت في حاجة ماسة للخريجين من أمثالهم. وتضم كلية الشريعة والدراسات الاسلامية الآن ثمانية أقسام هي: قسم الشريعة والدراسات الاسلامية، وقسم التاريخ، وقسم القضاء، وقسم الحضارة والنظم الاسلامية، وقسم الاقتصاد الاسلامي، وقسم الدراسات العليا الشرعية، وقسم الدراسات العليا التاريخية، وقسم الدراسات العليا الحضارية.

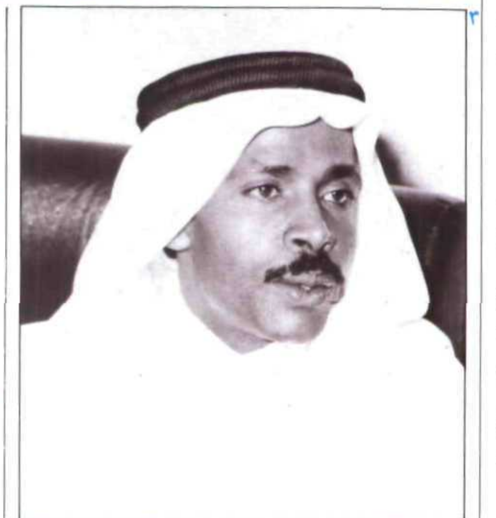
وفي حديث مع الدكتور علي عباس الحكمي،عميد كلية الشريعة والعلوم الاسلامية عن أهداف الكلية قال: ان من أهداف هذه الكلية هو تخريج العلماء في الشريعة الاسلامية أو المهيأين ليكونوا علماء في الشريعة لخدمة أمتهم وبلدهم في مختلف النواحي الادارية والقضاء والدعوة الى الله، اضافة الى خدمة العلم واثراء البحوث العلمية وخاصة في

كلية الدعوة وأصول الدين

أنشئت هذه الكلية حديثا في اطار جامعة أم القرى لتقوم بدورها في خدمة الاسلام والمسلمين وذلك بالمحافظة على كتاب الله تعالى تلاوة وحفظا وذلك عن طريق تخريج طلاب متخصصين في القراءات الواردة وفهم وجهها الصحيح، والمحافظة على الأصول الاسلامية بتخريج طلاب متخصصين في التفسير والحديث والعقيدة الاسلامية، وكذلك المحافظة على الاسلام ببيانه وتبليغه والدعوة اليه وفق منهج تربوي سليم، وتخريج طلاب متخصصين في الدعوة الى الله تعالى، وفي الاعلام بمجالاته الفنية المختلفة. وهذه الكلية هي امتداد وتطوير لقسم الدعوة وأصول الدين الذي كان أحد أقسام كلية الشريعة الدراسات الشرعية والاسلامية. ولقد أصبحت الكلية في الوقت الحالي تضم أقساما للدراسات العليا في الشريعة واللغة العربية والتاريخية والحضارية للطلاب والطالبات.

ويضيف عميد كلية الشريعة قائلا: ان اعداد الطلاب والطالبات الذين يتقدمون للدراسة في كلية الشريعة والعلوم الاسلامية تزيد عاما اثر عام، ولدينا الآن أكثر من الفي طالب وطالبة يدرسون في مختلف أقسام الكلية. اضافة الى ذلك، هناك الدراسات العليا المسائية وذلك تلبية لرغبة الخرجين الملحة في مواصلة دراساتهم والذين لا يستطيعون الانتظام خلال الدراسة النهارية نظرا لانشغالهم في أعمالهم ووظائفهم. أما بالنسبة للهيئة التدريسية التابعة لكلية الشريعة فهناك أكثر من مائتين ما بين أستاذ مشارك وأستاذ مساعد ومحاضر ومعيد.





كلية اللغة العربية

أنشئت كلية اللغة العربية في ٢١ ذي الحجة عام ١٤٠١هـ، وهي تضم الآن خمسة أقسام هي: قسم اللغة والنحو والصرف، وقسم الأدب، وقسم البلاغة، وقسم دراسات لغات الشعوب الاسلامية وآدابها، وقسم الدراسات العليا العربية فرع اللغة وفرع الأدب. وتمنح الكلية في التخصصات المذكورة درجات البكالوريوس والماجستير والدكتوراة.



١ — طالب في مركز التراث أثناء قراءته احدى المخطوطات المنقولة على الميكروفلم.

٢ — مجموعة من الطلاب في المكتبة المركزية.

٣ — الدكتور عبدالعزيز مصطفى عقاب عميد كلية العلوم التطبيقية والهندسية.

٤ — د. عبد العزيز محمد صديق قطب يجري احد الاختبارات العلمية.

٥ — الدكتور زهير احمد على الكاظمي عميد كلية التربية بالطائف.

٦ — بعض الطلاب في فترة استراحة قرب مقصف الجامعة.

والدراسات الاسلامية، وامتداد كذلك لبعض فروع التخصص بقسم الشريعة. وتضم الكلية الآن، قسم القراءات، وقسم الدعوة، وقسم الاعلام، وقسم العقيدة، وسيتم انشاء قسمي الكتاب والسنة مستقبلا، ان شاء الله.

كلية التربية بمكة المكرمة

هي اللبنة الثانية في صرح جامعة أم القرى، وتعتبر أول معهد عام لاعداد المعلمين في المملكة. تأسست في عام ١٣٧٢هـ. وفي عام ١٣٨٢هـ بدأت نشاطها الأكاديمي مستقلة بقسمين هما: قسم اللغة العربية وقسم المواد الاجتماعية واللغة الانجليزية، ثم نقل قسم اللغة العربية الى كلية الشريعة: أما الأقسام التي تضمها الكلية حاليا فهي: قسم التربية، وقسم المناهج وطرق التدريس، وقسم علم النفس، وقسم الجغرافيا، وقسم اللغة الانجليزية وقسم التربية الرياضية، وقسم التربية الفنية.

كلية العلوم التطبيقية والهندسية

وهي من الكليات الحديثة التي انشئت بعد القرار الخاص بانشاء جامعة أم القرى، وتضم أقسام الأحياء والرياضيات والفيزياء والكيمياء التي كانت سابقا تابعة لكلية التربية، اضافة الى قسم العلوم الطبية المساعدة وقسم الهندسة والعمارة الاسلامية. ويبلغ عدد الدارسين في هذه الكلية أكثر من ١٧٠٠ طالب وطالبة.

كلية التربية بالطائف

أنشئت في مطلع العام الدراسي ١٤٠١هـ — ١٤٠٢هـ، وهي تقع في منطقة شهار بالطائف، وتضم عددا من المباني المهيأة للدراسة وأخرى لسكن الطلاب والطالبات ومكتبة مركزية حديثة تضم الآلاف من الكتب والمراجع المختلفة التي تبحث في أصول الدين والتربية والتاريخ والحضارة الاسلامية، وتضم الكلية ستة أقسام رئيسية هي: قسم الدراسات الاسلامية، وقسم اللغة العربية، وقسم الأحياء، وقسم الرياضيات، وقسم اللغات الاجنبية، وقسم الدراسات التربوية. ويلتحق بالكلية حاليا أكثر من ٦٠٠ طالب وطالبة. والعمل جار الآن في انشاء معامل اللغة ومعامل الأحياء.









مَعهد اللغة العربيّة

أنشىء هذا المعهد في عام ١٣٩٥ — ١٣٩٦هـ تحت اسم «مركز اللغة العربية». وكان فيما مضى تابعا لكلية الشريعة والدراسات الاسلامية ثم أصبح معهدا مستقلا منذ عام ١٤٠٠هـ.

وفي حديث مع الدكتور عبدالله سليمان الجربوع عميد معهد اللغة العربية عن أهداف المعهد ومنجزاته التعليمية قال: أنشىء معهد اللغة العربية بجامعة أم القرى خصيصا لاستقبال الطلاب الوافدين الراغبين في دراسة اللغة العربية، حيث أن العديد من هؤلاء الطلاب يرغبون في مواصلة دراساتهم الجامعية لكن مستوى لغتهم العربية يحول دون ذلك. من هنا رأت الجامعة أن تنشىء هذا المعهد للنهوض بمستوى هؤلاء الطلاب وتقوية لغتهم العربية ليتمكنوا مستقبلا من الدراسة في الجامعة. وجميع الطلاب الملتحقين بالمعهد هم من الوافدين، وينتمون الى أكثر من ٤٣ جنسية. ويتم اختيار الطلاب عادة وفق معايير محددة كالكثافة السكانية بالنسبة للبلد الذي وفد منها الطالب، مع مراعاة ظروف البلدان الاسلامية والاقليات المسلمة في البلدان غير الاسلامية. ويبلغ عدد الطلاب في معهد اللغة العربية حاليا حوالي ٦٠٠ طالب.

مركز البحث العلمي وإحياء التراث الاسلامي

أنشىء في عام ١٣٩٦هـ، ومن أبرز الأهداف التي يسعى الى تحقيقها جمع التراث الاسلامي المتناثر في مختلف أنحاء العالم وتصويره



١ — الدكتور عبدالله سليمان الجربوع عميد معهد اللغة العربية في جامعة أم القرى.

٢ — مبنى المكتبة المركزية، فرع الطائف التابع لجامعة أم القرى.

٣ — الدكتور عبد الرحمن العثيمين مدير مركز البحث العلمي واحياء التراث الاسلامي.

٤ — الأستاذ عدنان عبد البديع نائب مدير مركز أبحاث الحج.

٥ — جهاز لتكبير الصور في مركز ابحاث الحج.



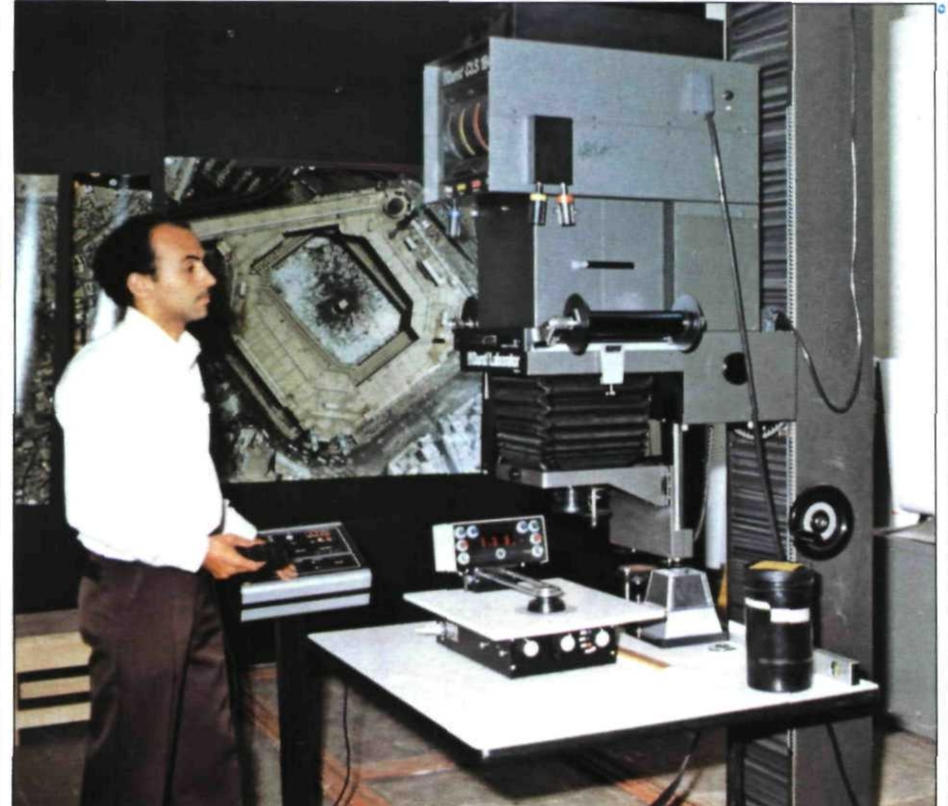
على ميكروفيلم والاحتفاظ به في مركز الأبحاث ليكون في متناول العلماء ورجال الأبحاث العلمية اضافة الى الاشراف على الأبحاث العلمية التي يتقدم بها العديد من العلماء لاقرارها. وحول أهداف هذا المركز، قال الدكتور عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، مدير المركز: «الهدف من انشاء المعهد هو جمع التراث الاسلامي والاشراف على الأبحاث العلمية في الجامعة بحيث أنه اذا أراد أستاذ أو منتسب الى هذه الجامعة القيام ببحث علمي وكان هذا البحث مطابقا للمواصفات التي حددتها الجامعة، فان المعهد يتولى اقرار هذا البحث ونشره. ويأخذ الصفة العلمية الأصلية ويحمل اسم مركز البحث العلمي واسم جامعة أم القرى. وبالطبع يجب أن يكون البحث علميا خالصا مبنيا على أسس علمية سليمة لا يرقى اليها الشك. وهناك مقيّمون في المعهد يتولون عملية مراجعة البحث العلمي وتقييمه قبل أن تتم الموافقة على طبعه على حساب

المركز، ونحن نجمع التراث الاسلامي من مختلف الأقطار الاسلامية والأوروبية والمكتبات العديدة المنتشرة في أنحاء متفرقة من العالم. وبامكان الباحث الاستفادة من هذه المخطوطات المحفوظة لدينا على شرائط الميكروفلم لاثراء أبحاثه وتنقيتها من الشوائب».



مركز أبحاث الحج

باشر هذا المركز نشاطاته داخل نطاق جامعة الملك عبد العزيز في عام **١٣٩٥**هـ، ومنذ ذلك التاريخ قام بتطبيق أساليب البحث العلمي في جمع وتحليل المعلومات لتحديد أفضل الخطط التي توفر المستوى الأمثل من الخدمات اللازمة للاعداد المتزايدة من الحجاج. وفي عام **١٤٠١**هـ، صدر قرار مجلس الوزراء القاضي بانشاء المركز وتحديد اهدافه التي تشمل تأسيس بنك للمعلومات عن الحج ليكون مرجعا علميا شاملا لمختلف عمليات الحج، والعمل على اعداد سجل تاريخي متكامل بالدراسات والوثائق والصور والأفلام والخرائط والمخطوطات عن الحج ومكة المكرمة والمدينة المنورة، وكذلك المحافظة على البيئة الطبيعية كما خلقها الله في المناطق المقدسة والبيئة الاسلامية لمكة المكرمة والمدينة المنورة. وفي عام **١٤٠٣**هـ صدر الأمر السامي بنقل تبعية المركز الى جامعة أم القرى. ويضم المركز أقساما للمعلومات والدراسات العمرانية والبيئية والحضارية ووحدات للتصوير الفوتوغرافي والجوي والسينمائي والفيديو بالاضافة الى المختبر



والمكتبة وورشة النماذج المصغرة. كما يجري المركز بالتعاون مع مختلف الجامعات والمراكز العلمية داخل المملكة وخارجها، ابحاثا مشتركة، وقد تناولت الدراسات التي أجراها المركز موضوعات شملت اسكان الحجاج والأضاحي والخصائص الاقتصادية والاجتماعية للحجاج، والحركة أثناء الحج ونوعية الهواء واستخدام الأرض في منطقة منى والاستفادة من سفوح الجبال هناك لاقامة أنواع مختلفة من الخيام المتطورة حسب مقتضيات موسم الحج.

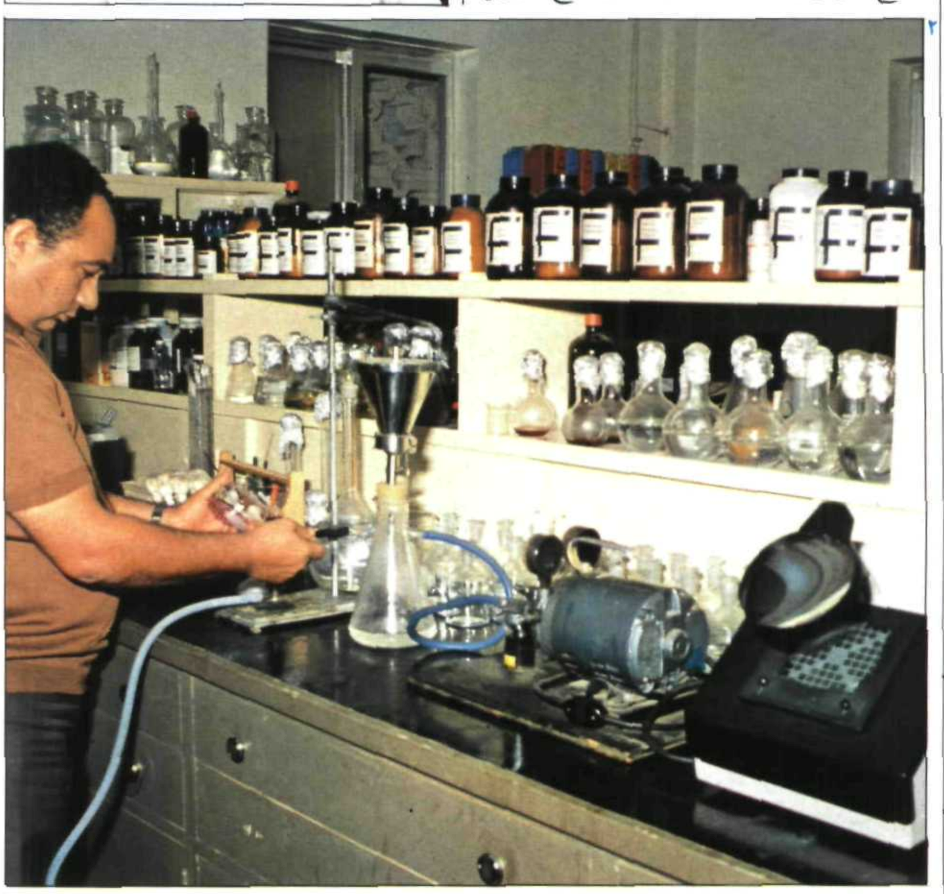
ولعل من أهم الأمور التي يهتم بها المركز منذ انشائه كما يقول الأستاذ عدنان عبد البديع نائب مدير المركز: الحركة في الحج، فاذا نظرنا الى الحاج منذ خروجه من بيته متوجها الى الديار المقدسة لأداء فريضة الحج وطوافه بالكعبة المشرفية وصعوده الى عرفات، فهو في الواقع يكون في حركة مستمرة وقد أجرينا دراسة علمية لحركة الحج بما يتوفر لدينا من امكانات جيدة ومعدات علمية حديثة. وقد خرج المركز بعد هذه الدراسة والمسح الجوي للمشاعر المقدسة باستراتيجية مقترحة للحركة وهي التشجيع على المشي لغير الراغبين فيه، وذلك باقتراح اقامة طرق مظللة تتوفر فيها متطلبات الحاج من دورات مياه، وأماكن راحة وأماكن للصلاة والاحتياجات اليومية الأخرى. وكذلك تحسين وسائل النقل الجماعي. وقد اقترحنا عدم السماح للسيارات الصغيرة بدخول المشاعر الحرام لأنها لا تخدم أكثر من ١٥ في المائة من مجموع الحجاج ولأنها تشكل عائقا على الطرق والكباري.



كما اننا نجري حاليا دراسة على المخيم التجريبي لاستخدام سفوح الجبال. وكما هو معروف فان الجبال تشكل حوالي ٥٠٪ من المساحة الشرعية لمنى. ونظرا لأننا نتوقع أن تزداد أعداد الحجاج في الأعوام المتعاقبة، فاننا نقوم بهذه الدراسة بهدف الاستفادة من سفوح الجبال وذلك باستخدام أنواع معينة من الخيام بالاضافة الى دراسة كفاءة استخدام الأرض في منطقة منى بهدف الاستفادة القصوى من الأرض المحدودة هناك. كما أننا نستطيع عن طريق التصوير الجوي معرفة أوقات وصول السيارات وأنواع الأمتعة التي يحملها الحاج معه. فهذه الدراسات التي يقوم بها المركز، تهدف أساسا الى خدمة الحجاج.

كما تحتضن جامعة أم القرى عددا آخر من المراكز التي تعنى بتقديم الخدمات اللازمة للطلاب، منها «مركز الوسائل التعليمية»، وقد تم انشاؤه في عام ١٣٩٣هـ، ويقوم بالمساعدة في تدريب الطلاب في بعض المواد التي تقدمها الأقسام المختلفة، كما يساعد في تطوير التعليم وذلك عن طريق التعاون مع المدرسين في اعداد الدروس والمحاضرات، وتقديم الخدمات للطلاب والمدرسين. و«مركز الحاسب الآلي» الذي أنشىء في عام ١٤٠٠هـ والذي بوشر في استخدامه في عمليات التسجيل مع بداية الفصل الدراسي الثاني ١٤٠٢/ ١٤٠٣هـ. و«مركز البحوث التربوية والنفسية» الذي أنشىء في أواخر عام ١٣٩٤هـ، ومن مهامه الرئيسية تقديم الاستشارات العلمية والمعاونة في اجراء التطبيق الميداني للبحوث لطلاب الدراسات العليا سواء داخل المملكة أو خارجها، و«مركز الدورات التدريبية» الذي يشتمل على المحاضرات النظرية في المواد التربوية وعلم النفس، والمناهج وطرق التدريس بجانب التربية الصحية والمكتبات والرياضيات، والنشاط الميداني في مجال الندوات التربوية الاسلامية.

هذا وتصرف الجامعة مكافآت مالية لطلاب الجامعة من السعوديين والوافدين. كما تقدم مكافآت تشجيعية للطلاب الذين يحصلون على معدلات امتياز بالنسبة لمراحل البكالوريوس والماجستير والدكتوراة □



١ ــ الدكتور محمد عبدالله حجر الغامدي وكيل جامعة أم القرى.

٢ ــ أحد العاملين في مختبر مركز ابحاث الحج أثناء عمله.

تصوير: علي عبدالله خليفة

نقد الشعر بين المعايير الفنية وغيرها

بقلم: د. جميل علوش / عمان

الحديث عن الشعر والشعراء موضوع قديم له جذور راسخة في تاريخ الأدب العربي، تمتد الى العصر الجاهلي، حينما كان يقف النابغة الذبياني في خيمة من أدم يحكم على الشعراء ويوازن بينهم ويفضل بعضهم على بعض. والذين ألفوا في هذا الموضوع من النقاد العرب كثر وعلى رأسهم ابن سلام صاحب كتاب طبقات فحول الشعراء وابن قتيبة صاحب كتاب الشعر والشعراء والأمدي صاحب كتاب الموازنة بين الطائيين والجرجاني صاحب كتاب الوساطة بين المتنبي وخصومه وابن طباطبا العلوي صاحب كتاب عيار الشعر وقدامه بن جعفر في كتابه نقد الشعر.

ولكل من هؤلاء النقاد منهجه ومقاييسه في نقد الشعر والموازنة بين الشعراء. فمنهم من جعل نقد الشعر مقدمة للحديث عن الشعراء بصفة عامة كابن سلام وابن قتيبة. ومنهم من جعل نقد الشعر هو الهدف الأكبر من كتابه وعلى رأس هؤلاء ابن طباطبا وقدامة بن جعفر.

وقد نقرأ في هذه الكتب ما يوافقنا ويلائم أذواقنا وقد نقرأ فيها ما يخالفنا ويجافي أذواقنا الا أنها تعتبر — على كل حال — المصادر الكبرى لنقد الشعر وتقييمه. «التقييم هو المصطلح الأفضل في هذا المجال لأسباب ليس هنا موضع بسطها».

وقد لاحظت من خلال ما ينشر في الصحف والمجلات الأدبية أن نقد الشعر قد فقد في أيامنا هذه أسسه ومعاييره. فأصبحنا نقرأ فيما يكتب عن الشعر بكل شيء الا نقده وتقييمه. فنحن نقرأ فيما ينشر في تلك الصحف والمجلات حديثا عن الشاعر وتحليلا لنفسيته وتفسيرا لما يتضمنه شعره من ألغاز ومعميات، وعلاقة الشاعر بالحركة الأدبية أو الوطنية أو تجديد المدرسة الشعرية وغير ذلك مما يمت الى نقد الشعر بصورة أو بأخرى ولكنه لا يقع منه في الجوهر والصميم.

كذلك قد نجد في تلك الكتابات المحسوبة على النقد بحثا عن موقع الشاعر في المجتمع وعن علاقته بتركيبته الاجتماعية واتجاهاته السياسية ونشاطه الحزبي وموقعه من الحركة التقدمية، الى غير ذلك مما ينحرف بالنقد عن غاياته وأهدافه الى غايات وأهداف أخرى.

واعتراضنا على هذا كله يقوم على أساسين:

أولا: يمت الى أهداف الشعر وغاياته وما هو مقصود منه.

ثانيا: يمت الى أسس النقد ومعاييره وكذلك أهدافه وغاياته.

ولا يخالجني شك في أن الاختلاف قائم بين النقاد حول كلا البندين السابقين. وليس من السهل الاتفاق على رأي صحيح صريح بشأن أهداف الشعر وغاياته ولا بشأن أهداف النقد وغاياته. ولذلك فلن أدعي أني أستطيع تقديم الرأي السليم والمقبول بهذا الصدد.

ولكني سأقدم طائفة من الملاحظات والآراء التي تصلح أن تكون هيكلا تقوم عليه العملية النقدية، حتى تكون عملية منهجية علمية بعيدة عن تقلب المزاج وجموح

نقد الشعر بين المعايير الفنية وغيرها

العواطف. فليس مما يسر أن نرى أقلام بعض الطارئين على النقد تهدم وتبني وتخفض وتعلي دون أن يكون لها من الحجج ما تستند اليه في هذا كله.

وأنكى من ذلك، أن هؤلاء يحاسبون الشاعر على اتجاهاته ومواقفه السياسية لا على قدرته وكفايته الأدبية فيحكمون عليه من خلال طائفة من الشعارات لا تقوم على أساس علمي أو موقف فكري أصيل فيساوون بين المنزلة الأدبية والموقف السياسي مساواة ليس لها ما يسوغها.

وهم يتحدثون عن الشعر حديثهم عن أية قضية عابرة من قضايا المجتمع والحياة. ويصبح النقد بذلك ضربا من أحاديث المجالس لا يحتاج الى أكثر من كلمة من هنا وكلمة من هناك، وقليل من الحكايات المنقولة عن هذا أو ذاك ممن لهم علاقة بهذا الموضوع مهما كانت هذه من الوهن والقصور.

ويبلغ بهؤلاء اعتدادهم بأنفسهم أن يسقطوا شاعرا لأنه على زعمهم ضعيف العاطفة أو لأنه لم يخدم قضية وطنية أو سياسية، أو لأنه لا يحقق في شعره الوحدة الموضوعية التي لا يفهمون مدلولها الحقيقي. أو لأنه شارك في احدى المناسبات والمناسبات محرمة في نظر هؤلاء. ولكن أحدا من هؤلاء لا ينظر الى لغة الشاعر أو أدائه الفنية أو سيطرته على عناصر فنه، أو عمق معانيه أو سعة خيالاته.

وقديما قال النقاد ان الأدب هو اجادة فني المنظوم والمنثور، وهذا يعني أن الاجادة تقف على رأس الأهداف المطلوب من الشاعر أو الناثر تحقيقها. ويترتب على ذلك أن يكون المتعرض لنقد الأدب قادرا على تلمس هذه الاجادة وتصورها.

وقد قال الجرجاني صاحب «أسرار البلاغة» في ذلك: لا يجوز أن يجسر على الحكم على الشعراء وتمييز ألفاظهم والحكم بالجيد والرديء لهم من لم يكن أعلم الناس بالكلام منظومه ومنثوره. ونفهم من ذلك أن من شروط الناقد أن يكون متمكنا من موضوعه ملما بقواعد الشعر وأصوله قادرا على تلمس محاسنه بصيرا بمساوئه وعيوبه، وأن يكون في هذا كله أعلم من الشاعر الذي يتصدى لنقده وتقييمه والا سقط مسوّغ تصديه لانتاج الشعراء.

هذا ما حصل قديما حينما كان الأمدى يتصدى للبحتري وأبي تمام والجرجاني للمتنبي وخصومه، وحديثا حينما كان العقاد وطه حسين يتصديان لشوقي وحافظ ومطران مثلا. ولذلك كان لنقد هؤلاء قيمة ووزن، فهم أعلم من الشعراء الذين تصدوا لهم في أصول النقد وقواعده. وان كان هؤلاء الشعراء أقدر من نقادهم على نظم الشعر ذوقا وملكة.

ومن المعروف أنه لا يصح أن يتسنم القاضي سدة المحكمة حتى يكون مطلعا على القوانين متعمقا فيها. وهو لولا هذا العلم لما استحق شرف الفصل في قضايا الناس والنظر في مظالمهم واصدار التبرئة والادانة بحقهم.

أما الموضوعات التي ينبغي أن يلم بها الناقد قبل أن يسمح لنفسه بالخوض في قضايا النقد والتصدي لأقدار الشعراء فهي اللغة والنحو وتاريخ الأدب والبلاغة والعروض، عليه ان يطيل النظر في النقد العربي ويتدبر أصوله وقواعده، فاذا استطاع أن يجمع الى ذلك نتفا من النقد الأجنبي وعلم الجمال، فتلك الغاية التي لا غاية وراءها.

وعلى الرغم من أن اختلاف الأذواق ظاهرة معروفة بين النقاد، ليس من المقبول أن يعتد الناقد الحق بذوقه الى حد أن يذهب به الوهم الى محاولة انكار شاعر كبير كالمتنبي أو شوقي أو مطران أو ايليا أبي ماضي أو الجواهري. فان التطرف الى تلك الحدود في الاعتماد على الذوق الشخصي ضرب من الفوضى والضياع.

ولقد جمعتني مجالس الأدب في عدد من البلاد العربية بمن يجهرون بانكار شاعرية أمين نخلة وعزيز أباظه وصالح جودت دون ابداء الأسباب، أو لأسباب واهية كأن يتهموهم بأنهم نظامون يفتقدون الصدق والحرارة، أو أنهم شعراء مناسبات، أو انهم لم يعبروا عن مطامح الشعوب التي ينتمون اليها، أو أنهم كلاسيكيون تقليديون الى غير ذلك من التهم التي لا تملك شيئا من القوة والوجاهة.

ان الاختلاف في الاذواق لا يسوغ هذا الاختلاف الجاد بين نقاد يعتبرون من ذكرت من الشعراء من شعراء الطبقة الأولى أو الثانية وآخرين لا يعتبرونهم شيئا يذكر في ميزان النقد. ان اختلاف الأذواق يسوغ التفاوت في الرأي ولا يسوغ هذا التناقض الكبير الذي ينفي أن يكون للنقد أصول وقواعد.

وهذا التناقض الكبير في مواقف النقاد أو من يحسبون على النقد جعلني أفكر في تقديم طائفة من النقاط ينبغي للناقد أن يتطرق اليها عند الاقبال على دراسة أحد الشعراء وهي:

* اللغة: ويراعى في ذلك ما تستلزمه قواعد اللغة والنحو، وتتطلبه شروط الفصاحة في المفرد والمركب.

* الوزن: وينظر في ذلك الى ما تتطلبه قواعد العروض من محافظة على سلامة الموسيقى وصحة النغم.

* المعنى: وينظر في ذلك الى صحته واستقامته وعمقه وبعده عن الاحالة

والاضطراب.

* الصدق: ويعنى به صدق المشاعر في تعبيره عن نفسه وموافقته لبيئته وعصره.

* الوحدة الموضوعية: ويقصد بها تماسك العمل الأدبي وترابط أجزائه.

* الخيال: ويقصد به ما يتضمنه النص من صور بيانية وسمو في التصور والتصوير.

ولا نستطيع التوسع في شرح كل بند من البنود السابقة فليس المجال بمتسع لذلك، وبخاصة أن كلا منها يصلح أن يكون كتابا قائما بذاته. ولقد أطنب النقاد القدامى والمحدثون في التحدث عن هذه القضايا وأطالوا في تحديد معانيها ومدلولاتها. وكل ما قصدناه من ذكرها هو تحديد الجوانب التي ينبغي أن يتعرض لها الناقد عند الحكم على العمل الأدبي.

وقيمة العمل الأدبي هذا تتوقف على مدى ما يحققه الشاعر من اتقان بكل من هذه العناصر فيه، واستكمال لمجمل الشروط الفنية التي تسهم في بنائه وتكوينه. وهذا يعني أن تقصير الشاعر في استغلال أحد هذه العناصر لا يعتبر مسوغا لسقوط القصيدة بمجملها، بل قد يكون سببا في انحدار مستواها أو في تفضيل غيرها عليها أو وضعها في الدرجة الثانية أو الثالثة بالقياس الى غيرها من القصائد.

وعلى هذا الأساس لا يجوز أن نتخذ من شكنا في أن يكون الشاعر قد عجز عن تحقيق أحد العناصر السابقة في شعره حجة لهدمه والاجهاز عليه أو اعتبار القصيدة التي نتصدى لدراستها من شعره مجردة من كل قيمة.

وأنا انما أشير بقولي هذا الى ما يحصل في حياتنا الأدبية من تجن على الشعر والنقد سواء عن طريق الكلمة المكتوبة أو في ما يدور بين رواد المجالس الأدبية. فما أسهل أن يحكم هؤلاء على قصيدة ما بأنها ساقطة لأنها في رأيهم تفتقد الصدق أو الوحدة الموضوعية أو لأنها تقترن بمناسبة معينة دون النظر الى ما يتوفر في تلك القصيدة من قيم فنية شكلية أو موضوعية.

فلا يجوز لأي كان أن يواجه كبار الأدباء أو الشعراء فيتصدى لأعمالهم على انتاجهم وليس في جعبته الا ثلاث كلمات أو أربع هي الصدق والوحدة الموضوعية والتقريرية والنثرية. فهذه قصيدة تفتقد الصدق وتلك تفتقد الوحدة الموضوعية، وتلك تتسم بالتقريرية وغيرها نثر لا شعر. وبيسر شديد ينهار في نظرهم المتنبي وأبو تمام وشوقي وغيرهم.

ولكأن التشكيك في الشعراء الكبار أصبح المهمة الكبرى التي يضطلع بها هؤلاء. فقد نشأ جيل لا يحترم هؤلاء الشعراء ولا يعنى بهم لأنه لا يفهمهم ولا يتذوقهم. ولقد اتفق أن دخلت على احدى الشعب في احدى دور المعلمين فوقف أحد الطلبة وسألني عن مبايعة شوقي بامارة الشعر وناقشني في استحقاقه لها. واستخلصت من النقاش أنه ينكر على شوقي هذه الامارة. وتصورت أنه لا بد أن يكون في اثارته لهذه القضية وفي انكاره على شوقي لقب أمير الشعراء انما يعتمد على علم عميق وثقافة واسعة.

وقد تبين لي فيما بعد أن الطالب المذكور لا يجيد القراءة ولا يعرف من قواعد العربية شيئا. وقد يعجب القارىء اذا علم أن من اباح لنفسه أن ينكر على شوقي أمارة الشعر كان المتخلف الوحيد في صفه في الامتحان النهائي في كل الموضوعات لا في العربية فقط. كل هذا بين جدران المدرسة وفي نطاق سلطاتها وقوانينها، فكيف لو لقيني هذا الطالب في مجالس الأدب ومنتدياته، اذن لأنكر عمالقة الشعر والأدب في العالم باسم التجديد والتقدمية والوطنية، ولكان ألحقني أنا نفسي بزمرة التقليديين الرجعيين الذين لا يفهمون من التجديد شيئا.

ويبدو مما سبق أن ما قصدت اليه هو الاصرار على الانحراف بالعمل الأدبي الى غير غاياته وأهدافه، واغراقه في قضايا عامة لا جدوى من التعرض لها بهذا اليسر والتهاون. ولا ريب في أن التهرب من مواجهة العمل الأدبي والاستعاضة من ذلك بمناقشة بعض القضايا الفرعية هو نوع من السطحية والافلاس الفكري.

وقد يدخل في نطاق ما ذكرنا من التعميم وتسمية الأشياء بغير أسمائها ما نراه من حديث النقاد ومن لهم علاقة بهم من شاعر كالجواهري. فأنا معجب بهذا الشاعر الكبير اعجابا لا حد له، لأسباب كثيرة ليس هنا موضع ذكرها ولكنها تدور حول قيم فنية شكلية وموضوعية. وقد رأيت كثيرا من هؤلاء ممن يشاركني الاعجاب بالجواهري، ولكنني عند تجاذب اطراف الحديث معهم حول الجواهري يتبين لي أن أحدا منهم لا يحفظ له بيتا من الشعر ولا يذكر له قصيدة، ويكون اعجابهم منحصرا في الخط السياسي التقدمي الذي يسلكه والمواقف الوطنية التي يقفها والصلابة الفكرية التي يتمتع بها مما لا علاقة له، بالنقد ولا بالشعر.

الحقيقة أن الحديث عن النقد والنقاد ذو شؤون وشجون، وربما بدا في ما أكتبه عن هذا الموضوع بعض القسوة التي أحاول أن اتجنبها دائما. ولكن ما حيلتي وأنا أواجه في كل مناسبة بل في كل مجلس ما يشيب له الرأس من اختلال القيم واختلاف الموازين والتجني على سدنة الأدب وحماته □

لمحات من طب القزويني

بقلم : د. محمود الحاج قاسم محمد / الموصل

هو أبو عبدالله زكريا بن محمد بن محمود القزويني (ولد بقزوين حوالي سنة ٦٠٥هـ/١٢٠٨م وتوفي سنة ٦٨٢هـ/١٢٨٣م من أولاد الفقهاء الذين كانوا مستوطنين قزوين. وينتهي نسبه الى أنس بن مالك خادم رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وكان الى جانب اشتغاله بالقضاء معنيا بالتأليف في الجغرافية والتاريخ وما يشبه التاريخ الطبيعي.

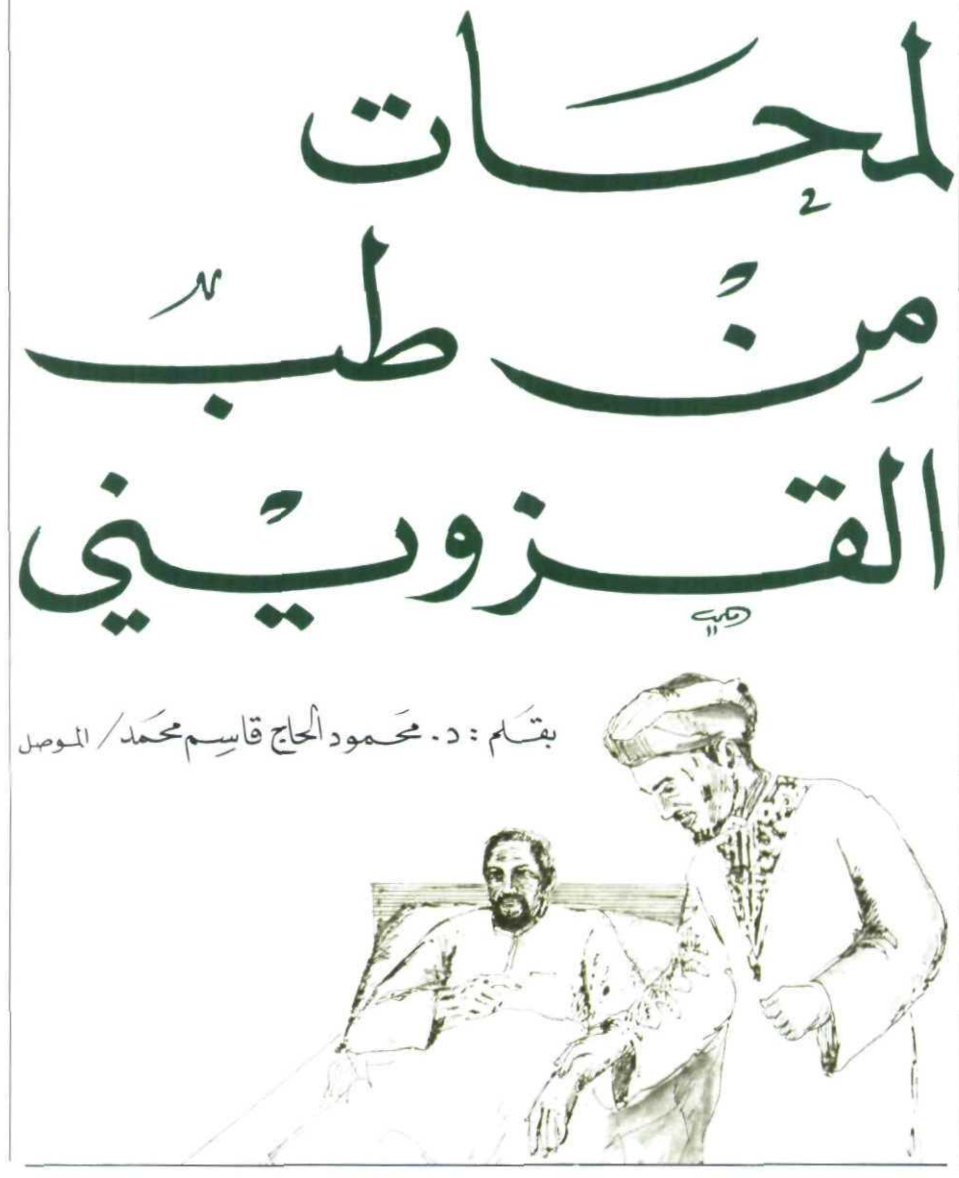
أما كتابه «عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات» فهو من أشهر كتبه وأنفس مؤلفاته سلك فيه مسلكا موسوعيا علميا فجاء شاملا على علوم الطبيعة بأسرها وليس على واحد بعينه، فبالاضافة الى تسليط الضوء على المعادن والنباتات والحيوانات والهواء، تطرق الى علم الفلك والجغرافية والطب.

قدّم القزويني كتابه بمقدمة بيّن فيها نماذج من أدبه وأسلوبه في التعبير وقصة تأليفه لهذا الكتاب الفريد من نوعه فقال «لما حكم الله ببعد الدار والوطن ومفارقة الأهل والسكن، أقبلت على مطالعة الكتب على رأي القائل: «وخير جليس في الزمان كتاب». وكنت مستغرقا بالنظر في عجائب صنع الله تعالى في مصنوعاته وغرائب ابداعه في مبدعاته...» الى أن يقول «ولقد حصل بطريق السمع والبصر والفكر والنظر حكم عجيبة وخواص غريبة فأحببت أن أقيدها لتثبت وكرهت الذهون عنها مخافة أن تفلت»[1] وقد قسّم الكتاب الى مقالات وكل مقالة تشمل عدة فصول في وصف الحيوان، وجعله في المرتبة الثالثة من الكائنات بعد المعادن والنباتات وقسّم الحيوان الى أنواع متعددة جعل الانسان «أشرف الحيوانات وخلاصة المخلوقات».

ان الموضوعات الجوهرية الكثيرة التي تحدث عنها القزويني ليست موضوع بحثنا وانما الذي يهمنا هنا من كتابه، الموضوعات الطبية التي طرحها. ولكن لا بد من التنويه قبل الدخول في التفصيلات الى أن القزويني عندما تناول القضايا الطبية لم يتعمق في دقائق هذا العلم لأنه لم يكن يقصد من تأليفه هذا تقديم كتاب خاص يكون مرجعا للأطباء وهو يؤكد ذلك في قوله عند التحدث عن طبقات العين: «وأما منافع الطبقات والرطوبات فكثيرة والحاجة اليها للطبيب ليس كتابنا بصدده»[2] وبغية الاحاطة بالموضوعات الطبية التي جاء ذكرها عنده ارتأينا حصرها في خمسة أقسام رئيسية هي كما يلي:

الموضوعات المتعلقة بتطور الجنين

◦ **النظر الثالث في تولد الانسان**: في هذا القسم أوجز القزويني علم الأجنة لذلك الزمان بأسلوب واضح بسيط ذاكرا تطور الجنين في الرحم خلال فترة الحمل اذ يقول: «فاذا فصلت النطفة في الرحم صار نطفة الأنثى والذكر ممتزجين على شكل كرة فتنعقد عليها بحرارة الرحم قشرة رقيقة كما ترى في العجين اذا وضع في شيء حار وتتشبث بها أفواه العروق التي يرد منها دم الحيض الى الرحم، ثم ان القوة المصورة باذن الله تعالى تجمع دهنية النطفة فتأخذ منها حصة الى الوسط اعدادا للقلب ومن عن يمينه حصة للكبد ومن أعلاه حصة للدماغ ثم تخلق السرة متصلة بوريد وشريان وهذا يتم في ستة أيام. ثم تأخذ في التخطيط والتنقيط، ويتم ذلك الى خمسة عشر يوما ينفذ دم الحيض في جميع الكرة فيصير علقة. وبعده باثني عشر يوما تصير الرطوبة لحما متميز الأجزاء، وتمتد رطوبة النخاع فانه أساس البدن. وبعده بسبعة أيام ينفصل الرأس عن المنكبين والأطراف من الضلوع والبطن الى أربعين يوما. ثم تظهر عظامه وتكسى العظام



باللحم المتولد من دم الحيض».(٣) ثم بعد ذلك يسرد أقوال «أبقراط» في كيفية وضع الجنين في الرحم. وفي الفصل الذي يلي ذلك يعلل فيه أسباب الذكورة والأنوثة تعليلا لا يتفق والمفاهيم الحديثة في هذا الباب، الا أنه في بداية الفصل يذكر سببا قريبا مما يؤكده العلم الحديث حيث يقول: «زعم بعضهم أن السبب لذلك حرارة خلقها الله تعالى للمادة التي يخلق منها الذكر ونقصانها في المادة التي يخلق منها الأنثى»(٤).

نجيز لأنفسنا القول بأن في هذا القول شبها لما يؤكده الطب الحديث حيث يعزى سبب الذكورة والأنوثة الى كروسومات الرجل الجنسية. فقد ثبت علميا ان حركة الحيوان المنوي الحامل للكروموسوم (Y) أسرع بكثير من الحيوان المنوي الحامل للكروموسوم (X). وخصص الفصل الأخير للتحدث عن الولادة وكيفية حدوثها. ومن أقواله نذكر الفقرة التالية عن الولادة الطبيعية: «فاذا أكمل المولود كفت القوة الماسكة عن الامساك، وتحركت الدافعة للدفع وهو أيضا يتحرك بيديه ورجليه فينشق الغشاء المطيف به وانحل رباط الجنين فيقع كالشيء الواقع من أعلى الى أسفل، فعند ذلك ينقبض قعر الرحم وينفتح عنقه ويبتدىء بالرطوبات التي كانت في الأغشية قبل ورود الجنين لينزلق المجرى فيسهل الخروج اذا كان طبيعيا يبتدىء بالرأس لأن أعاليه أثقل من أسافله»(٥).

لا شك في أن القزويني في الفقرة السابقة قد أجاد في شرح فسلجة الولادة والعوامل التي تساعد على الولادة وهي «حركة الجنين ومسألة الجاذبية وتقلص الرحم».

الموضوعات المتعلقة بعلم الأنسجة

لدى تناوله تشريح جسم الانسان وتركيب أعضائه ووظيفة كل منها، قسمها الى قسمين، سمى القسم الأول بالأعضاء المتشابهة، فجاء كلامه في هذا القسم مشابها الى حد ما مع ما نطلق عليه اليوم بعلم الأنسجة. وهو عند تناوله هذا العلم قسمه الى اثني عشر نوعا من الأنسجة وهي:

* **العظام**: وهي، كما يقول، أجسام صلبة جعلت قواما للبدن ودعامة تنشأ منها



الرطوبات... الى أن يقول وجميع العظام اذا عدت تكون مائتين وثمانية وأربعين»(٦).

* **الغضروف**: وهو جسم متوسط بين اللحم والعظم والصلابة واللين ينبت على أطراف العظام في موضع دعت الحاجة فيه الى العظم والى اللحم فيدخل الغضروف بينهما حتى لا يتأذى اللحم لصلابة العظم ولا يتألم العظم برطوبة اللحم وأيضا انها آلات الحركة والاحتكاك.

* **العصب**: وهو جسم لين لدن ينشأ من الدماغ والنخاع.. وفائدته الجس والحركة لسائر الأعضاء.

* **الرباط**: وهو جسم كالعصب في الشكل الا انه أصلب منه ينشأ من العظام فيربط بعضها ببعض.(٧)

* **اللحم**: وهو جسم حار رطب، من منافعه معاونة الأعصاب والشرايين والأوردة... ومن منافعه حشو خلل العظام فيستوي شكل الأعضاء به...

* **الشحم**: وهو جسم حار لطيف هوائي خلق على أطراف العضل ومواضع العصب..(٨).

* **الشرايين**: وهي جداول مضاعفة لأنها وعاء الروح، خلقت ذات صفاقين الا واحدة منها... صيانة للروح التي فيها واحتياطا بحفظها، فيطلع من القلب شعبتان احداهما الى الرئة وانها ذات طبقة واحدة ليكون أسلس وأطوع للانبساط والانقباض عند الاستنشاق، والشعبة الأخرى تنقسم احداهما تمضي صاعدا والأخرى الى الأسفل حتى استوعبا جميع البدن.(٩)

* **الأوردة**: وهي جداول تشبه الشرايين الا انها ذات طبقة واحدة لأن ما تحويه من الدم أغلظ مما تحويه الشرايين، وتنشأ من الكبد وتحمل الغذاء الى سائر الأعضاء وأول ما ينبت من الكبد عرقان احدهما من الجانب المحدب ومنفعته اتصال الغذاء من الكبد ويسمى الباب والآخر من الجانب غير المحدب ومنفعته اتصال الغذاء من الكبد الى سائر الأعضاء ويسمى الأجوف.(١٠)

* **الثرب**: وهو جسم شحمي خص بالحاق المعدة من قدام ليفيدها حرارة مع سهولة الانبساط اذا امتلأت المعدة من الغذاء.

* **الغشاء**: وهو جسم منتسج من ليف عصباني كنسيج الثياب ينبسط على سطوح الأعضاء التي لا حس لها يحويها كالطائف فيصير لها حافظا يحفظ جواهرها وأشكالها على هيئاتها ومنبها لها على المؤذى اذا طرأ عليها.(١١)

* **الجلد**: وهو جسم مركب من الشظايا العصبية والرباطية والأجزاء الشعرية من العروق... فيحل البدن بأسرها فيحفظ ما تحويه لصلابتها ويشعر بسبب الحس يوافقه ويخالفه وهو خفيف فضولا الى أعضاء البدن الظاهرة لأنها تدفع الفضول من العروق والوسخ من المسام.

* **المخ**: جسم مناسب لطبيعة العظم خلقت في تجاويف العظام لغذائها..(١٢)

الموضوعات المتعلقة بعلم التشريح

تحدث القزويني عن ذلك في القسم الذي خصصه للأعضاء المركبة، حيث تناول تشريح أجزاء الجسم المختلفة مقسما اياها الى نوعين:

الضرب الأول/ الظاهرة/ أنواعه: النوع الأول: الرأس— يتكلم هنا بالتفصيل عن تشريح ووظيفة كل جزء من الرأس.

* فصل في العين: في تشريح العين يذكر بأنها تتكون من سبع طبقات ويذكر تركيب ومنشأ كل طبقة كما ويتكلم عن عصبي البصر ومسارهما، وكيفية الابصار والعضلات المحركة للعين والأجفان والأهداب ووظيفة كل منها.

* فصل في الأذن.
* فصل في الأنف.
* فصل في الشفة.

* فصل في الفم.
* فصل في اللحيين.
* فصل في الشعر.

النوع الثاني: العنق —يتكلم هنا أيضا عن تشريح ووظيفة كل جزء كالفقرات والمريء والقصبة الهوائية.

النوع الثالث: الصدر —تناول هنا وظيفة القفص الصدري والأضلاع.

النوع الرابع: اليد —يتكلم هنا عن وظيفة اليد وتشريح كل جزء منها مخصصا فصلا خاصة للتحدث عن الظفر.

النوع الخامس: البطن —يتكلم عن وظيفة وتركيب جدار البطن.

النوع السادس: الظَّهر —يتكلم عن العمود الفقري ومسار الأعصاب منها وعظم الحوض ووظيفته.

النوع السابع: الجنب —هنا أيضا يتكلم عن الأضلاع.

النوع الثامن: الرجل —ويستعرض هنا أجزاء الرجل ووظيفة كل جزء.

الضرب الثاني: الباطنية أنواعها

النوع الأول: الدماغ —ومن جملة ما يقول عن تشريحه: «وهو جسم لدن محوي في غشائين، منبع للروح النفساني ومنه ينبعث في الأعصاب الى سائر البدن، وللدماغ ثلاثة بطون..» [١٣]

النوع الثاني: الرئة —يتكلم هنا بالتفصيل عن تشريح الحنجرة والقصبة الهوائية والرئة ووظيفة كل منها.

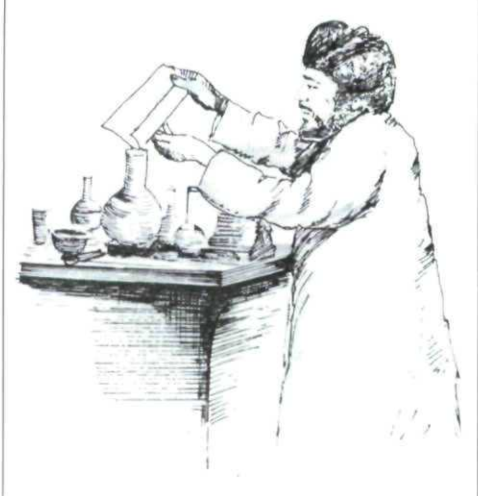
النوع الثالث: القلب —يتكلم هنا أيضا عن تركيب القلب ويؤكد على أن القلب يتأثر بالانفعالات النفسانية كالغضب والخوف والسرور والحزن.

النوع الرابع: الكبد —يتناول هنا تشريح الكبد وهيئته ومبدأ ومسار قناة الصفراء ووظيفة الكبد الأساسية في عملية تمثيل الغذاء.

النوع الخامس: المرارة —يتكلم عن تشريح المرارة الا انه أخطأ في ذكر وظيفتها.

النوع السادس: الطحال —ذكر تشريحه ولم يخالفه الصواب في ذكر وظيفته أيضا.

النوع السابع: المعدة —من جملة ما ذكره هنا: « مركبة بثلاث طبقات مركبة من



شظايا دقائق شبيهة بشظايا العصب تسمى الليف، يحيط بها لحم وليف، احدى الطبقات بالطول والأخرى بالعرض والأخرى بالورب...» [١٤] ثم يتحدث عن هيئة المعدة وموقعها وبم تتصل ووظيفتها.

النوع الثامن: المعي —يتحدث هنا أيضا عن تشريح ووظيفة الأمعاء.

النوع التاسع: الكلية —يقول عن ذلك: «وهي جسم صلب لحمي من شأنه تصفية الدم بجذب مائيته ويرسل تلك المائية الى المثانة» [١٥].

النوع العاشر: المثانة —يقول هنا: «وهي جسم مجوف عصباني مؤلف من طبقتين على فمة عضلة تضمه وتفتحه وتمنع خروج البول من غير ارادة.

النوع الحادي عشر: آلات التوليد —يقارن هنا بين الجهاز التناسلي للذكر والأنثى مؤكدا وجود تشابه بينهما. من ذلك يقول: «...فالصفن الذي هو كيس الأنثيين، الرحم في الاناث والاحليل عنق الرحم الا أن الخصى في الذكر داخل الصفن وفي الاناث خارج الرحم بيمينها..» [١٦].

الموضوعات المتعلقة بعلم الفسلجة

أدرج القزويني معلوماته عن علم الفسلجة تحت عنوان «القوى». وما تقسيمه للقوى مخالفا لتقسيم ابن سينا، وفي رأينا أن تقسيم القزويني كان أكثر وضوحا وشمولا من تقسيم ابن سينا حيث تناول جميع فعاليات أجهزة الجسم المختلفة، وكذلك مختلف النوازع والانفعالات الانسانية، فقسم القوى الى أربعة أنواع، وقسم كل نوع الى أصناف. [١٧]

النوع الأول: القوى الظاهرة، وهي الحواس الخمس [١٨]

* حاسة اللمس: وهي قوى مثبتة في جميع جلد البدن ندرك ما يلاقيه ويؤثر فيه..
* حاسة الشم: وهي قوة في مقدم الدماغ تدرك الروائح التي يؤدي اليها الهواء المتكيف بتلك الكيفية.
* حاسة البصر: وهي قوة مركبة في عصبة مجوفة في العين تدرك الصور والأشياء ذوات الأضواء والألوان.
* حاسة السمع: وهي قوة مركبة في عصب داخل الصماخ يدرك الصوت الذي يؤدي اليه الهواء بالتموج وحاله شبيهة بتموج الماء..» (١٨)
* حاسة الذوق: وهي قوة في جرم اللسان يدرك بها ما يمارسه من الطعوم بواسطة الرطوبة العذبة تحت اللسان..

النوع الثاني: القوى الباطنة، يصنفها الى ثلاثة أصناف، الصنف الأول وينقسم الى أربع قوى هي:

* القوى الجاذبة: وهي موجودة في سائر الأعضاء لأن كل عضو يخالف غذاء الآخر.
* الماسكة: وهي التي تمسك الغذاء ريثما تتصرف فيه القوة المغيرة.
* الهاضمة: وهي التي تحيل ما جذبته الجاذبة وأمسكته الماسكة الى مزاج صالح تجعل بعضها جزء من المغتذى وبعضها فضلا.
* الدافعة: وهي التي تدفع الفضل الذي لا يصلح أن يكون غذاء.

أما الصنف الثاني: القوى الخادمة، فينقسم الى أربع قوى أيضا هي:

* الغاذية: وهي التي تحيل الغذاء الى مشابهة المغتذى ليخلف بدل ما يتحلله.
* النامية: وهي التي تزيد في اقطار الجسم على التناسب الطبيعي ليبلغ بها تمام النشوء.
* المولدة: وهي القوة التي تولد ما يصلح أن يكون مبدأ لشخص آخر كالنطفة في الحيوان والحب والنوى في النبات.
* المصوِّرة: وهي التي يصدر عنها التخطيط والتشكيل والملاسنة والخشونة.

وأما الصنف الثالث: القوى المدركة التي

في الباطن وتشمل:

* الحس المشترك: وهي قوة في مقدم الدماغ تدرك صورة المحسوسات على سبيل المشاهدة وذلك غير البصر... فالصور الواردة على هذه القوة تارة تكون من خارج بواسطة الحواس وتارة تكون من داخل. ان القوة الثانية المتخيلة ربما ركبت صورة وأوردتها على الحس المشترك فتصير مشاهدة كالصورة التي يدركها الحس المشترك وهي خزانته.

* الوهم: وهو قوة في وسط الدماغ التي تدرك المعاني الجزئية المعلقة بالمحسوسات كصداقة زيد وعداوة عمرو، وهي التي تحكم في الشاة ان الولد معطوف عليه والذئب مهروب منه.

* الحافظ: وهي قوة مؤخر الدماغ تحفظ المعاني التي يؤدي اليها الوهم كأنها خزانته.

* المفكرة: وهي قوة في وسط الدماغ أيضا تتعرف في الصور الموجودة في الخيال والمعاني الحاصلة في الحافظ في التفصيل والتفكير، فان كانت في طاعة العقل تسمى مفكرة وان لم تكن تسمى متخيلة.

النوع الثالث: القوى الحركة — وهي صنفان:

الصنف الأول: الباعثة: وهي ضربان:

* الشهوانية: وهي القوة التي تدعو الى طلب المنافع ومن جملتها شهوة المأكول فانها مادة القوة كلها.. ومنها شهوة الوقاع ليبقى نسله.

* القوة الغضبية: وهي التي تدعو الى الغلبة، وهو تشبه ما نسميه في تعبيرنا اليوم التنازع على البقاء.

أما الصنف الثاني فيشمل القوة الفاعلة، وهي التي يصدر عنها تحريك الأعضاء بمباشرة الأفعال طاعة بقوة الشوقية.

النوع الرابع: القوى العقلية — وهي أربع مراتب:

* القوى التي يفارق الانسان البهائم، وهي استعداده لقبول العلوم النظرية والصناعات الفكرية.

* القوى التي تدخل الوجود للصبي المميز وبها يدرك الضروريات والممكنات والممتنعات.. فيقال له التصورات والتصديقات الضرورية.

* قوة تحصل بها العلوم المستفادة من التجارب بمجاري الأمور فمن اتصف بها يقال له عاقل، ومن خلا عنها يقال له غبي غر، وهي معاني مجتمعة في الذهن يستنبط بها مصالح الأغراض.

* قوة يعرف بها حقائق الأمور مباديها ومقاطعها حتى يقمع الشهوة العاجلة للذة الآجلة ويحتمل المكروه العاجل، لسلامة الأجل فيسمى صاحبها عاقلا.

الموضوعات المتعلقة بعلم التداوي والعلاجات

من خلال استعراض كتابات القزويني في هذا الباب نجد أنه قد اتبع منهجا خاصا في عرض الأمور الطبية، فعندما يذكر الوصفات الطبية يسبقها بوصف خواص المادة الطبية ومصدرها، مستفيدا من آراء الأطباء الآخرين المعاصرين منهم وغير المعاصرين. أما أسلوبه في عرض العلاجات وكيفية استعمالها فيتلخص فيما يلي:

* التداوي الداخلي (الشرب، المضمضة، الأكل، التحاميل).

* التداوي الخارجي (المسح، الطلي، الأكل، التبخير، الشم).

* الوقاية الصحية (الرش، النثر، التدخين، التعليق).

وتجدر الاشارة هنا الى أن الكتاب لا يخلو من بعض الوصفات الخرافية المستعملة في طب ذلك الزمان، الا انها لا تقلل من أهمية الكتاب حيث يعتبر لدى الكثيرين على الرغم من ذلك مرجعا علميا في تاريخ العلاج لا يستهان به.

وقسم العلاجات حسب مصادرها الى ثلاثة أنواع:

* العلاجات المعدنية: وهذه أيضا قسّمها الى ثلاثة أنواع:

— الفلزات: وهي عنده الذهب، الفضة، النحاس، الحديد، الرصاص، والأسرب الخارصيني.

— الأحجار: ذكر من أنواعها أكثر من مئة نوع، على سبيل المثال «حجر افليس الذهب، حجر اسفيداج الرصاص، حجر بلور، حجر الورق، حجر الرحا، حجر الصدف، حجر المطر، خبث الطين... الخ».

— الأجسام الدهنية: مثل الزئبق، الكبريت، القير، النفط، الموصيايين، العنبر.

* العلاجات النباتية: وصف القزويني ١٨٠ نباتا، وذكر العلاجات المستخرجة من أجزائها المختلفة كالجذور، والسيقان، والأوراق، والثمار. وقسم النباتات الى قسمين وهما:

— الأشجار كالاترنج، توت، بلوط، سرو، سفرجل، سماق، فلفل، كافور، ورد، نخل.. الخ.

— النجوم مثل الاذخر، ارز، افسنتين، بابونج، ترمس، ثوم، حرمل، خردل، خشخاش، ريحان،.. الخ.

* العلاجات الحيوانية: ذكر من الحيوانات (الدواب) ستة وثلاثين نوعا (مثل الحمار، بقر، فرس، جاموس، ظبي، ايل، أرنب، أسد، ثعلب، ذئب، دب..) الخ.

ومن الطيور أربعة وخمسين مثل، أوز، بلبل، بوم، حمام، دراج، زاغ، عقاب، كروان، لقلق.. الخ. ولا يخلو ذكر حيوان من هذه الحيوانات جميعا من نوع من العلاج المستخرج أما من لحمه أو عظمه أو افرازاته.

وبذلك نأتي الى نهاية بحثنا الذي توخينا فيه أن يكون مرآة صادقة للطب الذي كان يعرفه عالم موسوعي الكتابة والتأليف قبل حوالي ثمانمائة سنة □

---

١ — القزويني — زكريا بن محمد / عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات/ هامش كتاب حياة الحيوان الكبرى للدميري جـ ١/ص ٥

٢ — المصدر نفسه جـ/ص ١٢٠.

٣ — المصدر نفسه ص/١٠٧

٤ — المصدر نفسه ص/١١٩

٥ — المصدر نفسه ص/١١٠

٦ — المصدر نفسه ص/١١١ — ١١٢

٧ — المصدر نفسه جـ٢/ص١١٣

٨ — المصدر نفسه جـ٢/ص ١١٤

٩ — المصدر نفسه جـ٢/١١٥

١٠ — المصدر نفسه جـ ٢/١١٥ — ١١٦

١١ — المصدر نفسه جـ ١١٦/٢

١٢ — المصدر نفسه جـ ٢/ص١١٧

١٣ — نفس المصدر جـ٢/ص١٣٥

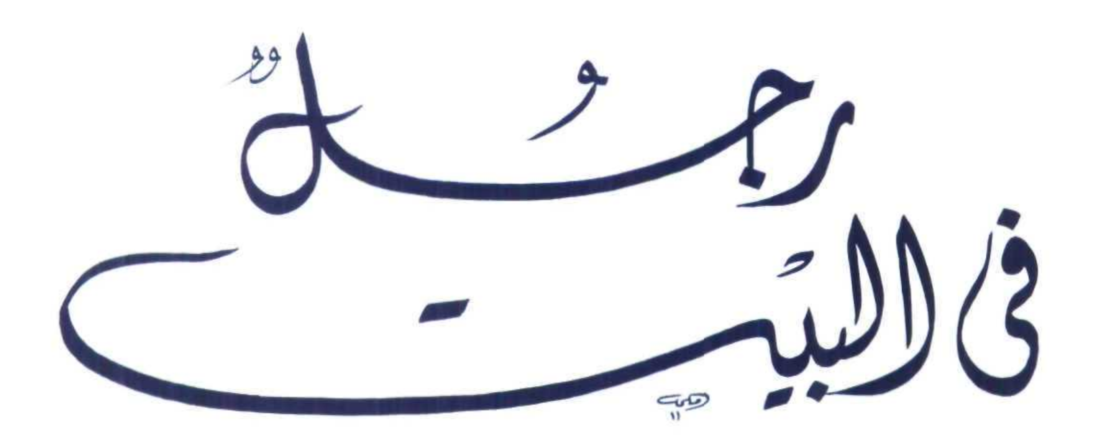
١٤ — المصدر نفسه جـ ٢/ص ١٣٥

١٥ — المصدر نفسه جـ ٢/ص ١٤٤

١٦ — المصدر نفسه جـ ١٤٥/٢

١٧ — المصدر نفسه جـ ١٤٩/٢

١٨ — المصدر نفسه جـ ٢/ص١٤٦ — ١٤٧



بقلم: د. عيسى المصو / نيويورك

عندما عاد «جورج ماك آرثر» الى بلدتنا توجهت اليه أنظار معظم النساء والفتيات اللائي يتطلعن للزواج، وسأخبركم كيف تقدم لطلب يدي. كنت واحدة من المعجبات بشخصيته الجذابة،ولا أخفي عليكم فقد تملكني شعور غريب نحوه. وكان عندي ثلاث بنات تتراوح أعمارهن ما بين العاشرة والرابعة عشرة. وقد سئمت من التوقيع على تقاريرهن المدرسية المرة بعد الأخرى، كما مللت من اضطراري للتردد على مكتب ضريبة الدخل لمقابلة المسؤولين في كل ربيع لمحاولة الدفاع عن حساباتي المالية. وكان سقف بيتنا مشقوقا شقا قديما، فكم كنت في حاجة الى رجل طيب يعمر البيت مرة ثانية، رجل لطيف نافع بمطرقته وبعض المسامير.

واذا كان في هذا شيء من القسوة فلا بأس. فان ما كنت أحتاج اليه هو رجل أحبه ويبادلني الحب، ولم يكن يطرأ في ذهني أبدا أن أيا من بناتي قد تعترض على هذا. فقد صاحت ابنتي سالي: «لا نريد جورج أبا لنا»، قالتها في لهجة مسرحية وهي تقفز واقفة على قدميها باندفاع غريزي. وأيدتها أختها «جون» قائلة وهي ترتدي حذاءها: «لا نريده»، ووافقتها «ليندا» بقوة وهي تقلب صفحات كتاب المرشدات عن التخييم وتنهمك في تدوين بعض الملاحظات السريعة. وسألتهن عن السبب وأنا في غاية الارتباك. ولكنني لم أظفر بجواب معقول أو غير معقول، ولم ألق الا جفوة وعنادا.

ولم أكن أدري كيف أخبر جورج وكيف أجابهه. وعندما كان في زيارة لنا ذات يوم شعرت بالحيرة واكتنفتني الهموم، فقد بدا لي أن المشكلة ليست أنهن لا يردنه خلفا لأبيهن بل في كونهن يؤثرن البقاء يتيمات. وبدا لي هذا الايثار غير معقول. ودار في خلدي أن أرسلهن جميعا الى مدرسة داخلية، ولكن أنّى لي المال؟

ولاحظ جورج شرود ذهني فقال: انك كثيرة الصمت، ورددت عليه متمتمة: أيدهشك هذا؟ ألا يعجبك أن تعيش مع امرأة لطيفة هادئة؟

قال: «لا أبدا، اني أريدك أنت».

قلت: «أصغي اليّ، انك تريد أن تتزوجني لأنني امرأة ناضجة وصاحبة ذوق».

فأجاب بالنفي وأضاف: بأن الأمر يختلف فأنا أبحث عن المرأة التي هي في حاجة اليّ، وشعرت بأني أوافقه. واحمرت وجنتاي وجف حلقي، وتمثلت أمامي رؤى منها منظر القمصان البيض المنشورة على حبل الغسيل. لكي تجف في الحديقة... وسرعان ما توقفت تلك التخيلات ونظرت الى جورج وقلت له: «أخشى أن علينا مواجهة الحقائق. ان البنات يا جورج مشكلة». وألقى علي نظرة جانبية وهو يقول: «حسنا، ماذا عن البنات؟».

قلت: «يا عزيزي، انك ترى... ترى أنهن مرهفات الحس في هذه السن، وتتضاعف حدة المشكلة في هذه الحالة مع الأطفال الذين حرموا من أبيهم.. لقد قاسين وعلينا أن نتحلى بالصبر.»

قال جادا: «أصغي الي، اذا كانت هناك عقبة تعترض طريقنا أخبريني، تعالي، هيا أخبريني ما هي المعضلة؟»

— يا ليتهن يعلمنني بها..، فتكتمهن يبعث على الحيرة، فاذا عرفت ماذا يطلبن مني فاني سألبي رغبتهن فيسعد الجميع،

ولكن بهذه الطريقة؟ — آه يا جورج كان في الامكان أن نكون في غاية السعادة، ولو كن فقط متحمسات.

وتفرس فيّ وقال: «مهلا مهلا، ماذا تعنين بكان في الامكان.. انه يتوجب علينا أن نبعث فيهن الحماسة».

وسكت ممعنة في التفكير ورأيتني أردد: «انهن متحمسات للورنس الو ليفييه، والسيد هو ليستر، وهناك دافيد كروكت.

— من هؤلاء؟

— انهم مثلهن العليا، فهن الآن يجتزن مرحلة التعلق بالأشخاص.

وجلست شاردة الذهن، ثم طاف بخاطري هاجس فصحت: «جورج، لقد وجدت الحل — الأب المثالي — لو كنت كأبطالهن...

— ماذا تعنين؟

— ان الأمر بسيط للغاية، ان كل ما يترتب عليك عمله لارضاء «سالي» هو أن تكون متهورا ورومانطيقيا كالممثلين. أما فيما يتعلق بجون، فعليك أن تكون منقبا في الكهوف، فان هذا سينال رضاها. فجون تحب السيد هو ليستر أستاذها في العلوم حبا شديدا، وهو الذي يأخذ بنات صفها أيام السبت للتنقيب في الكهوف. بينما ستسر ليندا الى درجة الجنون ان تزوجتُ من رجل كدافيد كروكت الذي يحب الغابات والتخييم والناموس، وكل تلك الأشياء الكريهة.

فقال في شك: «ان ذلك يبدو عملا غير سليم وغامضا، ولكن ربما...»

ولم يكن من خصائص جورج التريث والابطاء، وسرعان ما أخذ يدون الملاحظات القصيرة في مفكرته، وأخذ يردد وهو غارق في التفكير: «اذن «سالي» تريد أن تصبح ممثلة».

وصممنا أن أتولى أنا معالجة أمر «سالي» لدى عودتها من المدرسة الى البيت في اليوم التالي. وكنت منشغلة في المطبخ أقشر الجزر عندما جاءت فقلت: «سالي، لدي مفاجأة لك. ان جورج يريد أن يصطحبك الى المسرح معنا».

فنظرت الي نظرة ملؤها الريبة وتساءلت عن السبب. وكنت على وشك أن أروي أكذوبة، ولكنني أدرت ظهري وتظاهرت بالانشغال بالجزر، وأخبرتها أن جورج يعتقد أنه يتوجب عليها أن تشاهد التمثيلية، فان فتاة في مثل كفاءتها التمثيلية يتوجب تشجيعها.

ولكن «سالي» لم تكن ممن يكتمن ما يدور بخاطرهن، فأجابت بأنه ان كان جورج يعتقد أنه يستطيع أن يجبرني أن أحبه مثل أبي فانه.. وقاطعتها متظاهرة بالانشراح بأننا قد تخلينا عن فكرة الزواج مؤقتا على الأقل، وليسامحني الله على هذه الكذبة.

واصطحبني جورج مع «سالي» الى المسرح بعد يومين، وقد بهرت «سالي» بما شاهدته، كما قام جورج بين الفصل والآخر بالتحدث بجد عن المسرح مع «سالي». وما أن رجعنا الى البيت حتى سألتها عن رأيها في المسرح فصاحت وهي تندس في فراشها بأنه كان عظيما حقا. ولم أخف عنها انشراحي، متوهمة أننا حققنا الانتصار الأول، ثم سألتها عما انطبع في نفسها أكثر من غيره في المسرحية. فأجابت ان أشد المشاهد وقعا في نفسها كان عندما تناول البطل السم ومات. ولكني أدرت الحديث وجهة أخرى وقلت: «اذا ما تحدثنا عن الرجال ألم يكن جميلا من جورج أن يأخذنا الى المسرح؟»

ولكن لم تظهر عليها بوادر الاعتراف بالجميل، وأخذت في مواصلة وصف أحد المشاهد، وكدت أضربها لولا تغلب دوافع الحكمة. وكررت عليها السؤال مضيفة أنها لا تقدره حق قدره أبدا، وتساءلت فيما اذا كانت تكن له أي شعور من الود، فأجابت بلا مبالاة بأن مناسبة أخذها للمسرح لم تكن كمثيلاتها عندما كان والدها يصطحبها وان ذلك كل ما في الأمر. وشعرت بالضعف يشل تفكيري، ومضينا معا نستعرض بعض الذكريات.

وفي الأسبوع الذي تلاه ذهبت مع جورج وجون نحفر كهفا رهيبا في منتصف أحدى الغابات. واذا بجورج يصبح بطريقة ما خبيرا في عمليات حفر الكهوف، وقد اخترقنا بعض الطبقات من الصخور النتنة وزحفنا من خلال نفق رطب أسود، ومن ثم عثر جورج على بعض الصور، فصاح فرحا، فقد كانت صورا رائعة رغم بدائيتها لبعض الحيوانات ملونة بلون طيني أحمر ربما يرجع تاريخها الى تاريخ الكهف نفسه. وأخذ جورج يروي بحماسة تاريخ الرسوم المتعلقة بالكهوف. وفي نفس المساء قلت وأنا أغسل شعر جون مما علق به من طين وجورج يراقبنا: «يترتب عليك أن تخبري هو ليستر بأمر هذه الصور، أفلن يسره ذلك؟»

ولكنها أجابت بأن السيد هو ليستر هو الذي قام برسمها. فصعقت لسماعي هذا ولكنها سرعان ما أدارت الحديث وجهة أخرى. وعندما كنا نتناول طعام العشاء في مساء اليوم التالي أبديت قلقي لجورج من أن خطتنا لا تسير كما كنا نحب. واقترحت عليه أن نؤجل الزواج حتى ينتهين من دراستهن. ولكنه شجب هذا الاقتراح وقرع الطاولة معبرا عن غضبه وأقسم أن يجعلهن



يحببنه مهما طال الزمن، وسأل عن الخطوة التالية في خطة العمل.

وكان موقع المعسكر الذي وجده للبندا جميلا، كما سمح لها بأن تحضر معها صديقتين لها. وكنت أعد الطعام بينما انصرفت ليندا مع صديقتيها في جمع الأغصان الصغيرة واعدادها وقودا للنار، بينما كان جورج في الغابة يقتطع الأشجار، ولكن فجأة قالت ليندا: «ما هذه الصيحة المريعة التي سمعناها الآن؟»

وشعرت بقلبي تتوقف دقاته، بينما اندفعنا الى الشجيرات، وهناك رأينا جورج واقفا عند احدى الأشجار، ممسكا بالفأس، ينظر الى قدمه التي كان الدم يندفع منها. وعلل جورج الحادث بأن الفأس انزلقت، وما عرفت كيف أجيبه من شدة ارتباكي، ولكن ليندا ألقت علي نظرة الواثقة بنفسها، وهي تخرج حقيبة الاسعاف، وكأن لسان حالها يقول ان مثل هذه الحوادث مألوفة وان كل شيء تحت اشرافها سيسير على ما يرام.

وكانت يداي ترتجفان وأنا أقود السيارة الى البيت، بينما جلس جورج يعض على شفته ممسكا برجله بدون أن ينطق أي منا بكلمة، وأوصلت البنات الى البيت، وطلبت منهن أن يتدبرن أمر اعداد الطعام، ثم أخذت جورج الى المستشفى حيث راقبت أحد الأطباء يضمد جراحه، ويزوده بعكاز، ولاح لي شيء كأنه كابوس، وأشفقت وأنا أراقبه على تلك الآمال العريضة التي طالما سعدت باستعراضها، وقد ظهرت لي تافهة، فقد كنت أطمع في أن أعدّ العشاء له، وأكوي قمصانه، وأن استيقظ في الصباح لألقاه بجانبي وما عتمت حتى ساورني اليأس.

قلت له: ان الأفضل أن تأتي معي الى البيت فانك تحتاج الى بعض العشاء.

وأوصلته الى البيت وفتحت له الباب واندفعت لأرى ماذا يفعلن، بينما رجوني أن آخذ الأمور باليسر، وقد وجدت البنات في غرفة الجلوس يتناقشن عمن يجب أن تقوم بهذا العمل أو ذاك، فقلت لهن: «ألم يخطر لكن يا بنات أن جورج قد أصيب بجرح؟ ليتكن تظهرن تقديرا أكبر للظروف!» ولكنهن استمرين في نقاشهن، وكنت على وشك أن انفجر باكية، وأنا أتوسل اليهن أن يكففن عن الصراخ. وفجأة طُرق الباب الأمامي وساد الهدوء لحظة عندما استدرن لمعرفة الطارق. واذا جورج يقف هناك بينما ارتسمت على وجهه تعابير مخيفة. صاح وهو يدخل الغرفة ببطء: «يكفي هذا. ان والدتكن وانا سنبحث مسألة زواجنا ونريد بعض الهدوء.» ونظرت سالي الى شقيقتها بذعر وقالت: «ولكنك — ولكنك لا تستطيع ذلك.»

— لا أريد الاستماع الى كلمة أخرى منك أو من أي بنت أخرى ان والدتكن وأنا قد أرهقنا أنفسنا محاولين أرضاءكن».

وتراجعت البنات خطوة، بينما ألفيتني أقول: «لكن، جورج!» ولكنه لوح لي بيده طالبا مني أن لا أتدخل، بينما التفت الى البنات ثانية بحزم وهو يقول: «نريد أن نتزوج، وسوف تتعلمن كيف تحببن ذلك، والآن اذهبن الى الطابق العلوي.

ولكنهن وقفن صامتات مبهورات فصاح بهن:

«الى الطابق العلوي!» فأسرعن ذاهبات، وعندما خلونا لأنفسنا استند جورج على عكازته وهو يلهث، بينما توجهت اليه أقول: «يا عزيزي، انهن لن يقبلنك بعد الآن، انهن... قال وهو يمسك ذراعي: «مهلا مهلا، هل لي أن أسألك: أأنت واقعة في غرامي أم في غرامهن؟»

وشعرت بوجهي تزداد حرارته وقلت: «ليس هذا بيت القصيد. انني مسؤولة عن سعادتهن. فهل تعتقد اني أريد أن أشقيهن بقية حياتهن؟».

ولكنه أجاب بأن الوقت قد حان لايقاف رغبات البنات عند حدها. ثم انطلقت نحو الدرج دون أن أجيب. فاستطرد: «ماذا كنت تفعلين عندما كن يافعات؟ هل كنت تسأليهن اذا كن يرغبن في الاستحمام؟ هل كنت تستأذنيهن اذا كن يحببن الايواء الى فراشهن؟»

قلت بغضب: «بالطبع لا، ولكن هذا يختلف.»

— انه لا يختلف بتاتا.

— اني ذاهبة لألحق بهن.

— سأنتظر.

وصعدت الدرج وقد اغرورقت عيناي بالدموع. وعند أعلى الدرج استمعت الى أصوات مكبوتة. والتاع قلبي اذ خلت الصوت بكاء. وعندما فتحت الباب وجدتهن متجمعات على فراش سالي، وكن جميعا يقهقهن. ونظرت سالي الي هامسة بأفضل صوت مسرحي لديها:

«يا أمي، انه مدهش، انه آمر ممتاز!»

وتنهدت جون وهي تقول: «ان باستطاعته أن يطرد أيا كان عندما يريد.»

وسألت ليندا بصوت مرتعب فيه رغم ذلك رنة سرور: «هل سيضربنا جورج؟»

ووقفت مندهلة صامتة فترة ظننتها الأبدية. وبعد ذلك فهمت. انهن يتيمات — ولكنهن لن يكن دون أب بعد اليوم. وشعرت بنفسي انتصب وانني ازددت طولا. ونظرت اليهن بصمت لحظة ثم قلت بدون أن يرتسم على وجهي أي شبح ابتسامة: «اعتقد انه سيفعل ذلك اذا لم تتصرفن باتزان».

وعندها نهضت سالي من فراشها وقد التمعت عيناها وقالت: «ان الأمر كما كان أيام أبي».

— كم صحيح هذا يا ابنتي العزيزة، الآن وأنا أفكر بدا لي الأمر تماما كما كان.

وبكل هدؤ القيت نظرة على ساعتي، وقلت بعد أن رفعت وجهي بعض الشيء: «انها العاشرة. استحممن جميعكن واذهبن الى فراشكن.

وفتحت جون فمها بحكم العادة لتحتج، ومن ثم حملقت بي، وتطلعت الى أختيها المشدوهتين، بينما انفرج فمها عن كلمتين كانت قد نسيتهما منذ زمن هما: «أجل أماه». وأسرعتُ الى أسفل وكان جورج في الانتظار□

نفثة

شعر: أحمد مصطفى حافظ / القاهرة

الصحةُ تاجٌ.. لا يُشرى ... لو أمكن.. أمْهِرُهُ.. دُرًّا
ولقد أدركتُ نفاستها ... مذ أحدثَ بي (السُّكَّرُ) أمرا
و(السُّكَّرُ) مرضٌ.. يحرمُنا ... أن نقرب عسلاً أو تمرا
كم شجبتْ أمي من قبلي ... وشقيقي.. مسلكه الوعرا
ما قدّرَ ربي.. أقبلُهُ ... بخشوعٍ.. يغفرُ لي الوِزرا

أصبحتُ أحاذرُ من نهل ... لعصيرٍ حلوٍ.. كي أبرا
واذا ما يمّتُ يسيرا ... من (أرز) يسبِّب لي ذعرا
فالأرز يعدُّ بحباتٍ ... بثلاث ملاعقَ.. لا فخرا
والخبزُ يقسّم لي قطعاً ... بالوجبةِ.. لا تعدو الشبرا
وأغصُّ بماءٍ... ودواءٍ ... ما عدتُ أطيقُ له صبرا
وأروحُ وأغدو.. في سغبٍ ... وكأن بأحشائي جمرا
أترقبُ ساعةَ افطاري ... انْ اطلع لي سهدي.. الفجرا
وأظلُّ بشوقٍ وحنينٍ ... للكسرةِ تأتي.. من (كسرى)!
ان رمتُ قليلاً من زادٍ ... ما بين الوجبةِ والأخرى
تنطلق قذائفُ بركانٍ ... فالزوجةُ تزجرُني زجرا
عن حب تنهرُ.. لعلاج ... قد تحملُ عقباه الخيرا

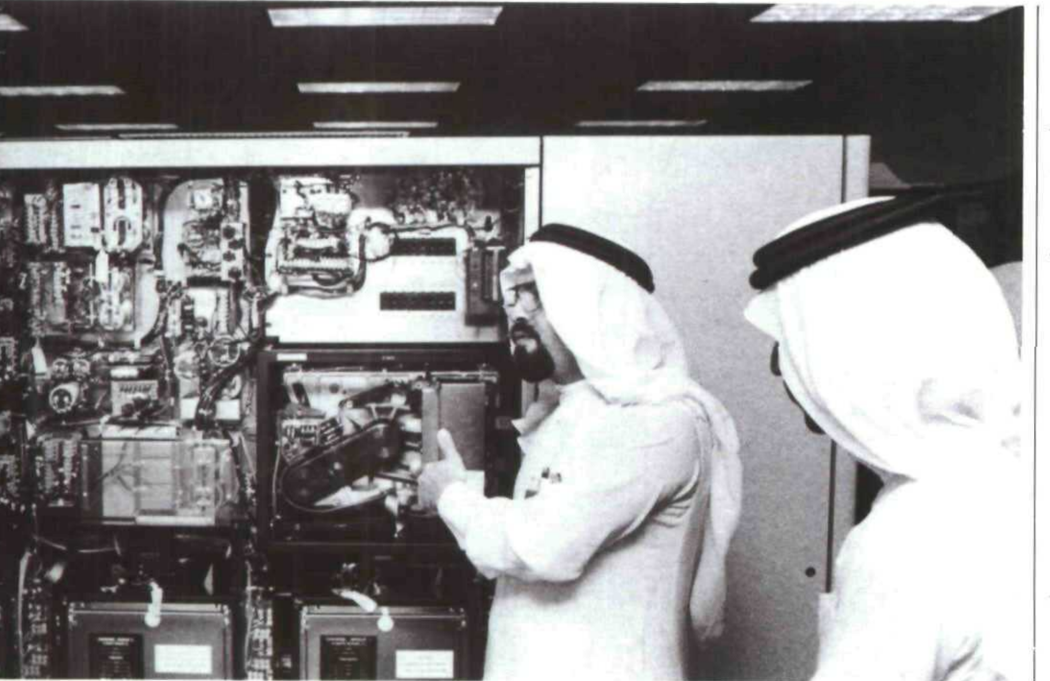
كم خلتُ الوقتَ بلا خطوٍ ... يتباطأ.. لا يبغي السيرا
لا اجرؤُ أن ألمسَ زادِي ... في غير مواعيدِ.. البُشرى!
فأظلُّ أراجعُ أوقاتِي ... وأظنُّ الظهرَ غدًا.. عصرا
وأصومُ وأفطرُ.. مراتٍ ... بخيالي.. كي أسكت.. كفرًا[1]
ما أبعِد من زادٍ.. عني ... تزدادُ مفاتنُه سحرا
..هأنذا نظّمتُ طعامِي ... لأحاصرَ.. جهدي. ما استشرى
لو زرتُ صديقاً يكرمني ... بالشَّهدِ.. فلن أقبلَ.. شكرا!
فـ(المعدةُ) صارت في دعةٍ ... وقليلُ الزاد محا العسرا
ما عدتُ بأكلٍ.. أُتخمُها ... فالتخمةُ قد تحفرُ قبرا

مذ قالوا (السُّكَّر) في دمِّي ... قد حلَّ.. ليعصرني عصرا
ما قدّر ربي.. أقبله ... بخشوعٍ.. يغفر لي الوِزْرا

---
(١) الجوع كافر.. كما يقولون.

أخبار الزيت المص

تشغيل حاسبة الكترونية حديثة



زود مركز الكمبيوتر، في مبنى دائرة التنقيب وهندسة البترول، بأحدث آلة حاسبة الكترونية تعتبر أحدث جهاز في مجال الكمبيوتر حتى الآن. وقد جرى تركيب هذا الجهاز ومعدات الكترونية جديدة أخرى لزيادة طاقة أعمال الحاسبة الالكترونية للتنقيب وتطوير سير الأعمال. ويعتبر هذا الجهاز الجديد ثالث آلة حاسبة من هذا النوع تستخدم في أرامكو، حيث جرى تركيب اثنتين مماثلتين في ادارة خدمات الكمبيوتر.

ويبدو في الصورة السيد محمد العكاس، الناظر الادارة لقسم تشغيل شبكة الكمبيوتر في مبنى مركز التنقيب وهندسة البترول، يشرح عمل الجهاز الجديد لاثنين من موظفي الكمبيوتر وهما من اليسار: السيدان زياد سامي لبان ومنصور الشهيب □

معمل جديد لضغط الغاز بالسفانية

بدأ معمل ضغط الغاز الجديد في السفانية، والذي يجري انشاؤه على اليابسة، يأخذ شكله المطلوب في الجهة الجنوبية الغربية من معمل السفانية لفرز الغاز من الزيت رقم واحد. ويعتبر المعمل الجديد، والمقرر أن تنتهي جميع الأعمال الميكانيكية فيه خلال شهر مايو ١٩٨٤، جزءا رئيسيا من المرحلة الثانية لشبكة الغاز الرئيسية التي تضطلع أرامكو بتنفيذها لحساب حكومة المملكة العربية السعودية.

وقد بدأت أعمال الانشاءات في شهر ابريل ١٩٨٢، بعد مضي ستة أشهر من اعداد الموقع، وقد تم انجاز حوالي ٣٠ في المئة من أعمال الانشاءات حتى الآن.

وسيتمكن المعمل من معالجة ٩٣٠ مليون قدم مكعب قياسي يوميا من الغازات المرافقة المستخرجة من حقل السفانية على اليابسة وحقل الظلوف المغمور. كما سيكون بامكانه معالجة الغازات المرافقة للزيت المستخرج من حقل السفانية المغمور. وسيجري ضغط الغازات المرافقة من المصايد على اليابسة والخزانات شبه الكروية والغازات المرافقة المستخرجة من الحقول المغمورة ومعالجتها لضخها الى معامل الغاز في البري وشدقم بهدف اجراء المزيد من عمليات المعالجة عليها. وسيتم دفع الكميات المكثفة خلال عمليات الضغط بصورة منفردة الى معمل الغاز في البري لاجراء المزيد من عمليات المعالجة.

وتشمل عملية الضغط ١٦ جهازا لضغط الغاز تعمل بواسطة المحركات الكهربائية بطاقة مجموعها ٢٧٣٠٠٠ حصان. وستمر الغازات المستخرجة من الآبار على اليابسة بثلاث مراحل ضغط لتصل الى ٥١٠ أرطال على البوصة المربعة الواحدة في سبع

صورة في أرامكو



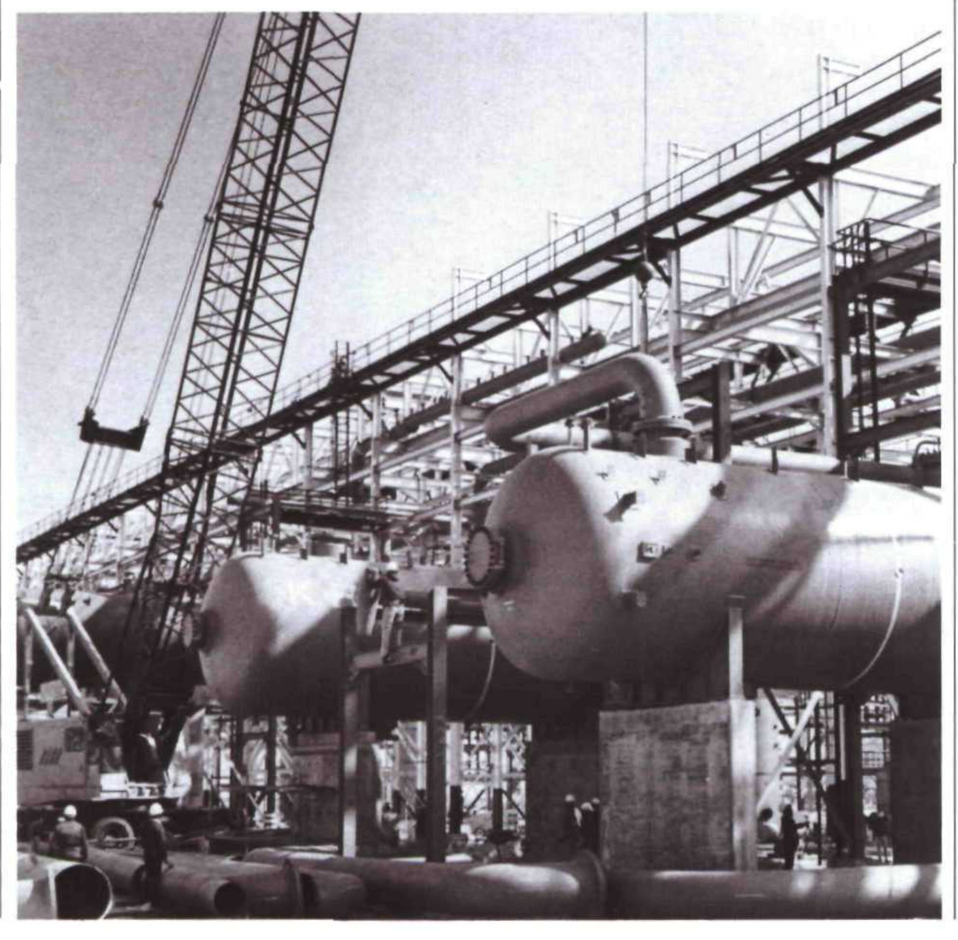
ضاغطات، وسيتم رفع الضغط في الغازات المرافقة للزيت المستخرج من الآبار المغمورة لتصل الى نفس مستوى الضغط في مرحلة واحدة باستخدام خمس ضاغطات.

هذا وسيتم التحكم بنقطة بدء التكثف للغاز المضغوط لتأمين خط للغاز الجاف عن طريق تبريد الغاز تحت الضغط ٥١٠ أرطال على البوصة المربعة الواحدة باستخدام ثلاثة أنظمة تبريد انضغاطية، ومن ثم تجفيفه كيميائيا بالقليكول في ثلاث نقاط تكثيف. بعدها يدفع الغاز بواسطة المزيد من عمليات الضغط في أربعة أوعية ضغط الى خط للأنابيب تحت ضغط ٩٧٥ رطلا على البوصة المربعة الواحدة، ثم يدفع الى معامل الغاز في البري وشدقم.

هذا ويجري حاليا انشاء خطين للأنابيب ضمن شبكة أنابيب السفانية البري لشحن الغاز ومكثفات الغاز الطبيعي السائل من السفانية الى معمل الغاز في البري على بعد ١٥٠ كيلومترا. وسيتم التحكم بالمرفق بأكمله عن طريق لوحتين للمراقبة موجودتين في المركز المخصص للمراقبة. وسيقوم جهازان الكترونيان بمراقبة مراحل التصنيع، واعداد الرسوم البيانية المتعلقة بمراحل التصنيع.

وبالاضافة الى محطة الضغط وخطي الأنابيب، فان المشروع يشمل أيضا انشاء وحدة جديدة لنزع المواد المكثفة الخفيفة، ومرافق تخزين في معمل الغاز في البري. وسترفع هذه المرافق الجديدة من طاقة انتاج معمل الغاز في البري من الغاز الطبيعي السائل وتؤمن المزيد من الغاز اللازم لشبكة الغاز الرئيسية □

يظهر في الصورة مجموعة من وصلات الأنابيب، يجري اعدادها وتركيبها في المواقع المخصصة لها. وأوعية فصل السوائل في معمل ضغط الغاز الجديد فوق اليابسة بالسفانية.



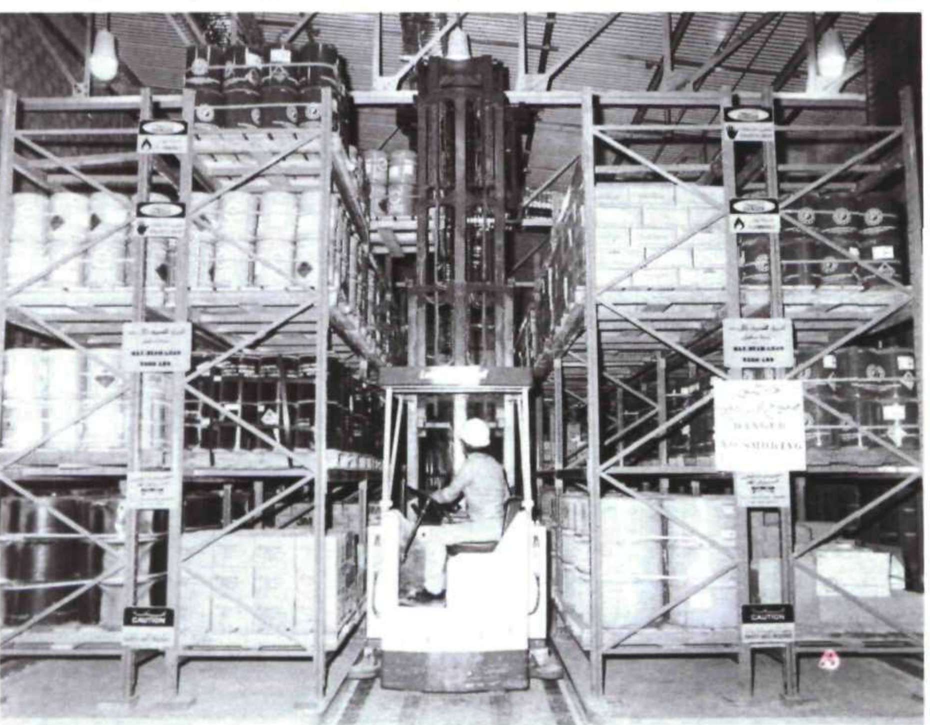
دائرة التموين تفتتح مخزنا جديدا للكيميائيات

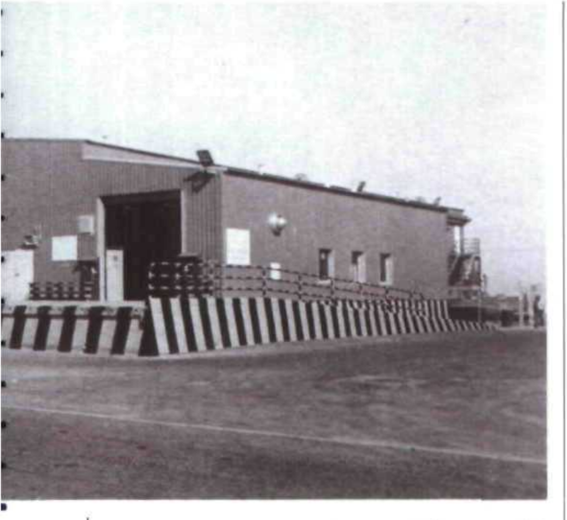
أكملت ادارة مخازن المنطقة الوسطى تجميع مخزونها من المواد الكيميائية تحت سقف واحد، وذلك عندما انتهت مؤخرا من اقامة مخزن ضخم خاص بها سعته ٢٤٠٠٠ قدم مربع. ويقع المرفق الصناعي الجديد في ساحة التخزين المركزية في الظهران. وقد جرى تقسيم المخزن، الذي يتكون من ثلاث مناطق تخزين رئيسية، الى ستة أقسام بهدف عزل المواد الكيميائية الخطرة عن طريق النوع والقدرة على الانسجام، وضبط البيئة الحرارية لكل قسم بما يتناسب مع متطلبات الحرارة اللازمة لهذه الكيميائيات الصناعية.

لقد حظي عنصر السلامة بالاهتمام الرئيسي في تصميم وانشاء المخزن كما يوضح السيد محمد المريسل، رئيس المخزن، مشيرا الى السقف المضاد للانفجارات والأبواب الضخمة المقاومة للحرائق والتي تتحرك تلقائيا لغلق القسم وحصر الأخطار في الداخل في حال حدوث حريق أو انفجار.

وبالاضافة الى ذلك، فان كل قسم مزود بمرشات للمياه، وأوعية لغسل العيون، وخراطيم للحريق، وأجهزة للتنفس، ومعدات متنقلة لاخماد الحريق، ومولدات رغوة مكافحة

السيد حبيب الهلال، احد العاملين بالمخزن أثناء مناولة بعض الأوعية الكيميائية للتوزيع، وتمشيا مع قواعد السلامة فقد ارتدى السيد حبيب الألبسة الواقية والقفازات والنظارة والخوذة الواقية.





الحريق، القادرة على ملء مساحة واسعة بالرغوة السريعة الانتشار والقادرة على اخماد النار خلال ثلاث دقائق. وتخمد الرغوة النيران بطريقتين في آن واحد. فعندما تحيط الرغوة بالأشياء المشتعلة، فان المياه الموجودة في الخليط تندفع لتحويل النار الى بخار ومن ثم تخمدها بفعل نقص الأكسجين فيها. وعند حدوث التحول من نار الى بخار يتم امتصاص الحرارة، وتؤدي عملية التحول هذه الى تبريد المواد المحترقة الى نقطة أدنى من نقطة الاحتراق. وتوجد المياه اللازمة للمزيج الذي تحتاج اليه مولدات الرغوة في خزان سعته ٦٠٠ غالون بالقرب من المخزن.

ان المخزن الجديد مزود بساحات مكيفة وغير مكيفة، وأخرى مبردة تتسع لحوالي ٩٥٠ صندوقا و ١٧٧٥ لوحا من ألواح التحميل. ويتم تخزين الكيميائيات الصناعية في أوعية تتسع لخمسة غالونات وبراميل تتسع لخمسة وخمسين غالونا. وتوضع هذه الأوعية، فوق ألواح التحميل بصورة منفردة للحيلولة دون حدوث أي اختلاط فيما لو حدث تسرب من أحد البراميل.

ورة في أرامكو



وتنحدر أرضية كل قسم، للسماح للمواد الكيميائية في حال حدوث أي سيلان أو في حال غسل الأرضية، نحو مصرف خاص ومنه الى وعاء مقوى بالاسمنت. وهناك عشرة أوعية مستقلة مماثلة مطمورة على عمق عشرة أقدام تحت الأرضية المجاورة للمخزن. وتعتبر شبكة التصريف هذه وسيلة احتياط أخرى لضمان عدم اختلاط أية مواد غير متجانسة مع بعضها البعض.

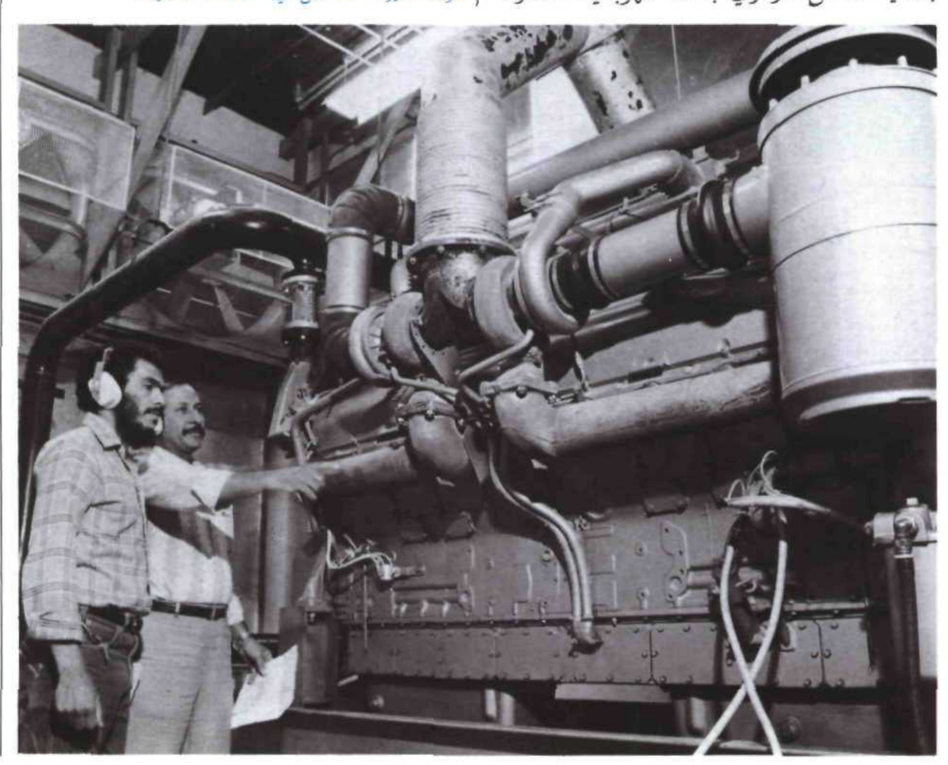
هذا ويطلب من العاملين في المخزن أن يرتدوا القفازات السميكة لدى اعداد المواد الكيميائية للشحن. وتحمل جميع هذه المواد ملصقات تحذيرية مثل «سموم» أو «قابلة للاشتعال» ويجري تغطيتها بالبلاستيك اذا جرى شحنها بكميات.

وقد تم توزيع اشارات السلامة في أماكن استراتيجية في جميع أرجاء المخزن لتذكير العاملين على مناولة المواد الكيميائية في كل من أقسام المخزن. وفي قسم الشحن، توجد لوحة كبيرة تحمل مختلف ملصقات السلامة والتوجيهات لتنبيه العاملين وتعريفهم بأهمية التقيد بارشادات السلامة في مكان العمل□

المعمل المركزي عماد مركز التنقيب وهندسة البترول

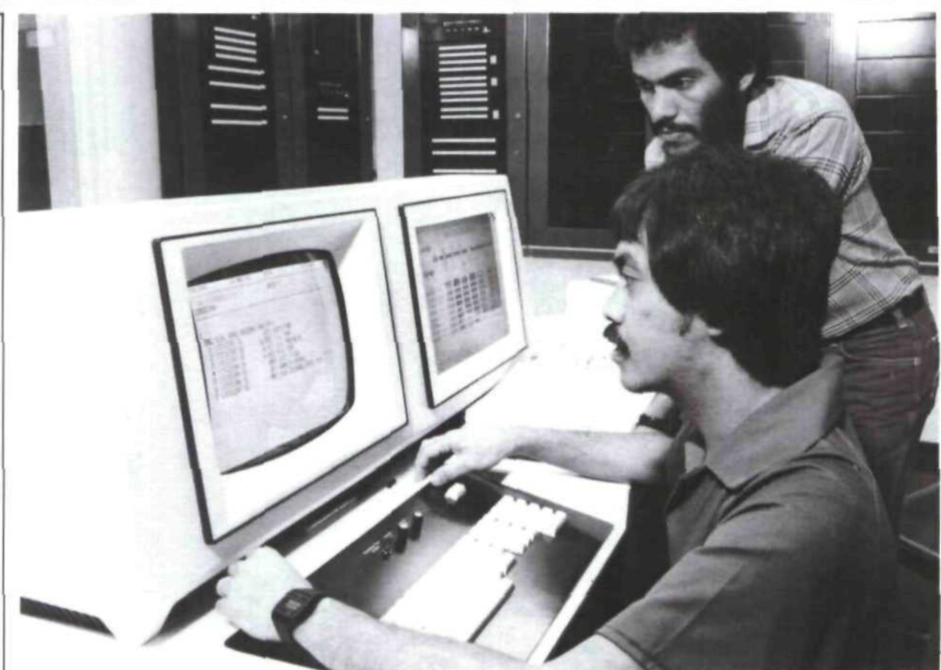
المعمل المركزي هو بمثابة شريان الحياة لمئات المكاتب في مبنى مركز التنقيب وهندسة البترول، ومبنى مكاتب الهندسة، ومركز الكمبيوتر، اذ بدونه تتوقف الآلات والأجهزة المكتبية، وتتعطل أجهزة تكييف الهواء، وينقطع الماء عن صنابير الشرب. والأهم من ذلك كله، ان شبكة الكمبيوتر المتقدمة تصبح هامدة بلا حراك. وعلاوة على ذلك، فهو مجهز تجهيزا خاصا ليقوم كشبكة مساندة في حال انقطاع التيار الكهربائي، أو في حالة نشوب حريق.

في ظروف العمل العادية، يقوم خطا التغذية الممتدان الى المحطة الفرعية المجاورة، بتغذية المعمل المركزي بطاقة كهربائية مقدارها ١٣٨٠٠ فولت تستخدم في انارة المباني، وتشغيل المصاعد والآلات المكتبية والآلات الحاسبة الالكترونية، وتزويد خمسة أجهزة تبريد في المعمل طاقة كل منها ٦٠٠ طن والمعدات المساندة لها بالكهرباء اللازمة لتبريد الماء المستعمل في تكييف الهواء وتبريد الحاسبات الالكترونية، وتشغيل ثلاث مضخات للماء العادي ومضختين لماء الشرب، لسد احتياجات جميع المباني.



١ ـ السيد مطلق القحطاني، ناظر الصيانة المساعد، لقسم صيانة مباني المكاتب، يتحدث مع السيد حمد المغيربي عن مولد الديزل المستعمل في الحالات الطارئة.

أخبار الزيت المص



٢ــ السيد حمد المغيري واحد المرحلين في غرفة العمليات يتابعان على شاشة الكمبيوتر أحوال صيانة المعدات في المعمل المركزي.

وتجري مراقبة أحوال المعمل المركزي المتعلقة بضغط الزيت في المعدات، ودرجة حرارة التبريد، وضغط المضخات، وما شابه ذلك، بواسطة الكمبيوتر الموجود في غرفة العمليات المجاورة للمعمل المركزي على مدار الساعة. أما في حالة انقطاع التيار الكهربائي، لسبب من الأسباب، فيتولى مهمة تزويد المباني المذكورة آنفا، بطاقة محدودة من الكهرباء، مولد ديزل سعته ٦٠٠٠ غالون. ويقول السيد مطلق القحطاني، ناظر الصيانة المساعد في قسم صيانة مباني المكاتب، ان هذا المولد يعمل تلقائيا، ويزود المباني بطاقة كهربائية تبلغ ١١٠٠ كيلوفولت أمبير، وهذه الطاقة تكفي، في الحالات الطارئة، للانارة المحدودة، وتشغيل مصعد واحد في كل مبنى ومضخة حريق واحدة، ومضخة تبريد للماء اللازم للحاسبات الالكترونية. والجدير بالذكر أن تبريد الماء اللازم للحاسبات الالكترونية، خلال فترة انقطاع التيار الكهربائي، لا يستمر طويلا، بل يبقى الماء باردا لمدة محدودة يتسنى خلالها للعاملين في مركز الكمبيوتر ايقاف الحاسبات الالكترونية قبل أن ترتفع درجة حرارتها. هذا وفي الوقت الذي يبدأ فيه مولد الديزل بتزويد الطاقة الكهربائية المحدودة بمجمع المباني، تقوم شبكة، تعمل بالبطاريات تلقائيا، بتزويد الحاسبات الالكترونية بالطاقة الكهربائية اللازمة لها، لفترة تصل الى خمس عشرة دقيقة، ريثما يتم ايقاف الحاسبات الالكترونية بطريقة مأمونة.

وبالاضافة الى ذلك، فان غرفة العمليات التابعة للمعمل المركزي مزودة بأحدث جهاز للانذار بالحريق □

قارب ارسـاء جديد لتأمين

يبدو القارب «بري ــ ٢»، أحدث قارب ينضم الى دائرة البحرية، وهو يعمل في الفرضة البحرية بالجعيمة مستخدما معدات التسيير الفني.

قطر ناقلات الزيت

كان القارب المسمى «بري — ٢»، أحدث قارب ارساء ينضم الى دائرة البحرية بأرامكو، ويتميز بكفاءته، وتعدد استعمالاته، وقد وضع في الخدمة منذ منتصف شهر مايو الفائت، وهو يعمل الآن في الفرضة البحرية بالجعيمة، وذلك للمساعدة في ارساء ناقلات النفط العملاقة، في مراسي آمنة بمرافق أرامكو.

وهذا القارب مزود بزوج من المعدات الخاصة بالتسيير النفثي (ف.س.ب) مما يجعله على درجة كبيرة من الفاعلية لانجاز الأعمال التي في المراسي ذات الرباط المنفرد، عند مواقع تحميل الزيت في المياه المغمورة.

وهذا القارب المحكم في تصميمه هو الوحيد المزود بوحدات (ف.س.ب) للتسيير النفثي، ضمن أربعة قوارب ارساء أخرى تابعة للفرضة البحرية، كما أنه مزود بجهاز خاص لمكافحة الحرائق والتلوث البترولي. ويبلغ طوله ٢٨,٤ مترا، وعرضه ٩ أمتار، ويصل غاطسه الى ٣,٣ أمتار، أما سرعته القصوى فتصل الى عشر عقدات بحرية. ومن مميزات هذا القارب أنه باستطاعته قطر أية ناقلة زيت عملاقة الى بر الأمان عند تعرضها لأي خطر طارىء، وذلك بفضل مكنتيه الاثنتين اللتين تعملان بقوة ١١٢٥ حصانا، وتوفران له قوة سحب تعادل ١٧ طنا. ومما يجدر ذكره ان فرضة الجعيمة البحرية التي يصدر منها الزيت وسوائل الغاز الطبيعي تستطيع استقبال أضخم ناقلات الزيت في العالم.

وتنجز قوارب الارساء عادة أعمالها، بأن يقوم قاربان بقطر ناقلة الزيت العملاقة الى مكان الرسو المعد لها وذلك حال وصولها. أما عند مغادرتها فيكفي قارب واحد لجرها الى عرض البحر.

وعلى عكس القارب «بري — ٢»، فان قوارب الارساء الثلاثة الأخرى، تعمل بالطريقة التقليدية. أما هذا القارب الجديد فانه يمتلك ميزة المناورة، بفضل وجود وحدتي (ف.س.ب) للتسيير النفثي المثبتتين عموديا بالقاعدة، واللتين تتحركان بفضل مكنات الديزل، بحيث يمكن توفير قوة دفع موجهة بزوايا قائمة الى محور دوران المروحة الموجودة بالقارب وهذا يوفر حرية أكبر في ترتيب وضع المراوح، ويصبح بالامكان وضعها في أفضل نقطة ممكنة للحصول على أفضل تفاعل ممكن بين القارب والمروحة لانجاز العمل المطلوب. كما أنه من الممكن المحافظة على ميزة المناورة هذه كاملة، عند تخفيض السرعة.

وتتم عملية ارساء الناقلة بواسطة قاربين، احدهما يختص بتمرير خطوط الارساء الى الناقلة، والآخر بمناولة الخراطيم. وتمتد هذه الخراطيم العائمة التي تزود الناقلة، بالزيت الخام والوقود، من الناقلة ذاتها الى خط أنابيب مغمور متصل بساحة الخزانات في الجعيمة.

وعلاوة على الأعمال الاعتيادية فان القارب «بري — ٢» قد صمم لمناولة خراطيم التحميل، كما أنه سهل التكيف مع أحوال البحر المتقلبة.

والقارب «بري — ٢» مزود بجهاز لمكافحة التلوث، ويستوعب نحو ثلاثة آلاف جالون من المواد الكيميائية اللازمة لذلك بالاضافة الى جهاز لاطفاء الحرائق □

بطانة الاسمنت تطيل عمر خطوط الأنابيب

نفذت أرامكو، مؤخرا، أول مشروع لتبطين الأنابيب بوسادة أسمنتية، وذلك في منطقة «أبو علي». وقد استعملت في هذه العملية، التقنية الحديثة لاصلاح خط للأنابيب بلغ طوله ١٠,٨ كيلومترات وقطره ٤٨ بوصة، والمصنوع من الفولاذ في خط تجميع المياه — لتبطينه ببطانة أسمنتية. ان هذه



السيد محمد الجوفي، ناظر قسم صيانة الانتاج، يتفقد انبوبا بعد اجراء عملية التبطين عليه.

البطانة الأسمنتية سوف تحمي خط المياه الرئيسي من التآكل الذي ينتج عادة بسبب المياه العالية الملوحة فيه والتي تستعمل في مشروع حقن الماء في حقل البري، والتي لا تكون صالحة للزراعة أو للشرب.

ان شبكة أجهزة ومعدات حقن الماء في حقول البترول هي عرضة للتآكل السريع، والذي لا يمكن تلافيه، حتى بمعالجة أنابيب الحقن بمواد كيميائية أو بأساليب أخرى مماثلة لمنع التآكل، مما يستدعي ابدال هذه الأنابيب بعد مضي خمس سنوات على الأكثر من بدء التشغيل.

ان الأسلوب الجديد الذي استخدم في مشروع خط «أبو علي» يطيل عمر صيانة الأنابيب بنسبة ٥٪ كما أنه يوفر كلفة حقن المواد الكيميائية في هذه الأنابيب لمعالجة التآكل.

ان نظام التبطين المستعمل في «أبو علي» يتكون من مزيج من الرمل والاسمنت بحيث يبلغ سمك البطانة نصف بوصة وهو يعتمد على الدفع الذاتي. وتعمل آلة التبطين بمعدل ٨٠٠ قدم في اليوم، ويتم تغذيتها بالأسمنت بواسطة خرطوم متصل بآلة متنقلة. ومن خلال قمع مستقل، يتم بعد ذلك تغذية المجمع الرئيسي بالاسمنت، حيث يقوم هذا المجمع بادارة المزيج على جدران الأنبوب، وهناك مالجان دائريان يتحركان مع الآلة وذلك لتنعيم سطح الاسمنت الطري، مباشرة بعد ملامسته لجدران الأنبوب.

ان عملية التبطين هذه تتم خلال ساعات الليل حيث تنخفض الحرارة، حتى لا يجف الاسمنت بسرعة كبيرة. ثم تتم عملية ترطيب الاسمنت خلال عملية الجفاف، وذلك لحمايته من التشقق. وفي الحقيقة، ان البطانة الاسمنتية تكون أكثر قوة لأشهر عديدة كلما ظلت رطبة، كما ان الرطوبة تمكن البطانة من اصلاح نفسها مما يطيل من مدة بقائها، ولذلك تعتبر الرطوبة ضرورية بهذه العملية.

وقد بدأت فكرة ادخال الاسمنت لاصلاح شبكة أجهزة حقن الماء خلال تبادل الندوات التكنولوجية التي تمت بين ادارة منع التآكل وشركات عالمية. وقد تم عرض الفكرة من قبل ادارة هندسة عمليات الانتاج. وبعد مضي شهرين على عملية تجربة الاسمنت في مشروع «أبو علي» أجرى مهندسو عمليات الانتاج ومهندسو التآكل سلسلة من الاختبارات لمعرفة مدى نجاح هذه الطريقة، التي أثبتت نجاحها وملاءمتها لمنع التآكل.

يقول السيد يوسف رفيع، مدير ادارة الانتاج في رأس تنورة ان الأسلوب الجديد سيطيل من عمر شبكة أجهزة حقن الماء لفترة طويلة، وسيزيد من فاعلية عملية منع التآكل □

قارب جديد للصيانة ينضم إلى أسطول أرامكو

الحق حديثا بالعمل في مجال الصيانة القارب «السفانية ٦» وأصبح تحت تصرف قسم صيانة خطوط الأنابيب والمنصات البحرية. ويعد هذا القارب من أحدث القوارب التي اشترتها أرامكو. ويقول السيد سام جورينجر، ناظر قسم صيانة خطوط الأنابيب: كنا الى وقت قريب نعتمد على قوارب المقاولين للقيام بأعمال الصيانة في منشآت الزيت في المناطق المغمورة. ولم يكن أي من تلك القوارب يفي باحتياجاتنا المطلوبة.

ومهمة القارب «السفانية ٦» هي القيام بأعمال الفحص الدوري والتفتيش على المنصات وخطوط الأنابيب في المناطق المغمورة في ساحات محدودة، وبأعمال اللحام واستبدال الأجزاء المعطوبة في منصات الانتاج ومعامل فصل الغاز من الزيت، بالاضافة الى أعمال سفع الرمال وأعمال الطلاء للمنشآت المقامة في المناطق المغمورة. ويبلغ طول هذا القارب ١٩٩ قدما وعرضه ٤٠ قدما. وقد وصل الى رأس تنورة في ٣٠ يونيو الماضي وتمت تجربته في ١ يوليو. وقد استغرقت عملية تصميمه وبنائه ١٦ شهرا في هولندا. ويبلغ عدد موظفي الصيانة الذين يعملون على ظهر هذا القارب ٢٠ شخصا.

ومن الميزات التي يتمتع بها هذا القارب والتي ستزيد من قدرة وكفاءة الأداء، فقد ذكر أنه يحتوي على نظام التدوير الهيدروليكي الفريد الذي يسمح بتحريك الفوهة الثنائية ذات الدفات مجتمعة، أو كل على حدة، بالاضافة الى ذلك فكل فوهة تحتوي على ثلاث دفات،



قارب الصيانة الجديد «السفانية ٦».

مما يجعل عدد الدفات في هذا القارب ست دفات، علما بأن معظم القوارب تحتوي على دفتين فقط، مما سيؤدي الى درجة عالية من المناورة في المياه، والتي تعتبر شيئا ضروريا عند القيام بأعمال الصيانة في منشآت المناطق المغمورة. وبالاضافة الى القدرة على الحركة والمناورة، فان نظام الدافع المنحني والقابل للتحرك بجميع الاتجاهات وبثمان سرعات يمكن قائد القارب من تحريكه بزاوية مقدارها ٩٠ درجة في أي اتجاه. وهذه ميزة كبيرة لتوفير الوقت. اضافة الى ذلك فانه عندما تكون الرياح والأمواج بعكس اتجاه القارب، فمن الممكن أن تستغرق عملية تحريكه بأمان الى الجهة المقصودة ساعات عديدة، وبهذه الميزات الخاصة والتي تتمثل في الدفة الثنائية والدافع المقوس فان العملية لا تستغرق سوى خمس وأربعين دقيقة. ولتمكين هذا القارب من الدخول للمياه الضحلة في أبو علي، فقد صمم غاطسه بطول ثلاثة أمتار في حين أن قاربا بهذا الحجم يحتاج الى غاطس أعمق ليوفر استقرارا أكبر في الأمواج الهائجة. وقد زود القارب بخزان محوري للماء ليعوض عن وجود غاطس أكبر.

وسطح القارب مجهز بمعدات غاية في الدقة والتصميم، فلادارة القارب توجد ثلاث محطات قيادة واحدة في الأمام واثنتان في الخلف وذلك للمساعدة في عمليات الارساء، ويتم تشغيله بمحركين قوة كل منهما ١٥٠٠ حصان. كما أن القراءة المستمرة لعمليات التشغيل وعمليات تبديل السرعة الكهربائية وغير ذلك من الوظائف الحيوية في القارب يتم رصدها بجهاز كمبيوتر زود به القارب. وهناك جهاز للانذار ينبه العاملين الى أي عطل قد يحدث في الأجهزة، وفي الوقت نفسه يزود هذا الجهاز العاملين على القارب بالمعلومات اللازمة للاسراع في تغيير قطع غيار ما أو اصلاح أي عطب.

وللوقاية من الحريق يستخدم على ظهر هذا القارب نظام ضخ يعمل بغاز معين وهو نظام يختلف عن نظام الوقاية من الحريق التقليدي الذي يستعمل فيه غاز ثاني أوكسيد الكربون. وهذا الغاز لا يترك أي بقايا وهو غير مؤذ أو مضر للانسان.

ويوجد على ظهر هذا القارب معدات صيانة خاصة تتكون من رافعة دائرية بطاقة عشرة أطنان وبارتفاع ١٧ مترا، ومكنة لحام بقوة ٣٠٠ أمبير ومكنتين اخريين للحام بقوة ٤٠٠ أمبير، وضاغطتين للهواء بطاقة ١٧٫٦ مترا مكعبا لكل منهما وذلك لتحريك جهازي بخ الطلاء وجهازي السفع الرملي. كما أن هناك مخزنين بسعة ٩٠ طنا لكل منهما لتخزين الرمل.

والقارب «السفانية ٦» يستطيع البقاء ١٤ يوما متواصلة في عرض البحر وذلك لتمكين العاملين على ظهره من البقاء مدة كافية قرب موقع العمل ☐



بقلم: عبدالله أحمد شباط / الخبر

حديثنا عن الشيخ حسين بن أبي بكر بن غنام لن يتناول النواحي التاريخية أو الحوادث التي وقعت في نجد والاحساء بين عامي ١١٥٠ و١٢٢٥، وهي الفترة التي عاشها الشيخ ابن غنام في الاحساء ونجد.. ولكنا سنتحدث عن الشيخ ابن غنام.. حياته.. وشعره.

وابن غنام لم يوصف أبدا بأنه شاعر.. كما لم يؤلف من الشعر الا ما قد يحتاج اليه في رصد حوادث معينة.. لأنه بالدرجة الأولى فقيه وعالم ديني.. وقد ألف في ذلك كتابه الشهير «العقد الثمين في أصول الدين»، ثم اشتهر بعد ذلك كمؤرخ عندما أخرج كتابه «روضة الأفكار والافهام لمرتاد حال الامام وتعداد غزوات ذوي الاسلام».. وقد وردت له عدة قصائد تدل على شاعرية متميزة في ثنايا ذلك الكتاب.. كما أورد له الشيخ محمد بن عبد المحسن آل عبد القادر قصيدة في رثاء الشيخ عبدالله بن أحمد آل عبد القادر.

وفي كتاب «شعراء هجر» وردت له ثلاث قصائد سنعرض لها فيما بعد.. وكلها أشعار تدل على طول باعه وعمق نظرته ورصده للأحداث.

ولد حسن بن أبي بكر بن غنام في بيت علم وعناية بالأصول ودراسة للعقيدة على وجهها الصحيح.. فوالده مبارك ابن غنام رجل علم.. ثم ان صلته بأسرة آل عبد القادر، وهي احدى الأسر العلمية، كانت صلة قوية.. فقد تتلمذ على عدد من رجالاتها المعروفين.

لا أحد يستطيع تحديد تاريخ ميلاده، الا أنه ولد بالمبرز، وأخذ فقه المالكية عن بعض علمائها.. فنشأ مالكي المذهب.. فلما اتصل بدعوة أمام الدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ناصرها وآزرها وأصبح أحد أعمدتها ودعاتها مما يحتم عليه أن ينتقل الى الدرعية ليكون قريبا من امام الدعوة فيلازمه.. يدون رسائله ويسجل أخبار الأمام محمد بن سعود بكل دقة حتى أصبح تاريخه وثيقة مهمة احتوت العديد من رسائل الشيخ محمد بن عبد الوهاب ويرجح الدكتور محمد بن سعود الشويعر ان انتقاله الى الدرعية في حدود عام ١٢٠٠هـ.. وبذلك يكون قد لازم الشيخ الامام حوالي ست سنوات وقد تتلمذ عليه خلال اقامته كثيرون لم يذكر المؤرخون منهم سوى سليمان بن عبدالله بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب.. والعلامة أحمد بن ناصر المعمر.

أما مشائخه الذين أخذ عنهم العلم بالاحساء فيذكر منهم الشيخ عبدالله بن أحمد آل عبد القادر:

زكي ذكى كم جلا نور فكره
دجى مشكلات بان منه نهارها
حوى الحكم والاجلال والحزم والنهي
كذا الزهد والتقوى عليه شعارها

كما يذكر الشيخ عبدالله بن محمد الكردي البيتوشي بقوله:

ولكنك الشمس المنيرة مالها
بدائرة الأفلاك مأوى ملازم
ويا كوكب الدنيا الذي بسنائه
وتياره تهدي وتحي الرمائم

ولقد توفي رحمه الله سنة ١٢٥٠هـ، وترك لنا من الآثار كتابين احدهما في الفقه وعنوانه «العقد الثمين في شرح أصول الدين»، وفي التاريخ وعنوانه «روضة الأفكار والافهام لمرتاد حال الامام وتعداد غزوات ذوي الاسلام». وهذا الكتاب الأخير تاريخي سجل فيه أحوال الاحساء ونجد والبصرة خلال النصف الأخير من القرن الحادي عشر.. ورصد فيه الأحداث منذ عام ١١٥٨هـ وهي مبتدأ أمر الشيخ محمد بن عبد الوهاب.

وتاريخ ابن غنام يبدأ بذكر حالة الاحساء ثم نجد.. ثم يتبع ذلك بفوائد فيما يجب على المسلم فعله.. وفائدة في بيان الأختلاف الذي ذكره ابن تيمية وفائدة في أن الله لا يجمع هذه الأمة على ضلالة.. ولذلك بيان غربة الاسلام.. ثم يبدأ الفصل الثاني في بيان نسب الشيخ ومبدأ أمره ووفاته.. وفصل آخر أورد فيه بعض رسائل الشيخ محمد بن عبد الوهاب.

ثم يتابع بقية الفصول برصد الأحداث حسب ورودها في الأعوام.. وأحيانا يعقب على بعض الأحداث بقصيدة من تأليفه.. وهكذا نرى أن تاريخ ابن غنام احتوى على العديد من المقاصد الفقهية والتاريخية والاجتماعية والأدب والشعر وان كان اتبع في اسلوبه السجع السائد في عصره، الا انه يتميز بدقته وايراد كل صغيرة وكبيرة حتى عدد الغزاة وعدد ما معهم من الخيول والسلاح، وعدد القتلى بدقة متناهية ووصف تصويري لكل صغيرة وكبيرة.

والشعر عند ابن غنام ليس هاجسا ولا مقصدا، وانما هو يرد عرضا للاستشهاد كما نرى في تعقيبه على بعض الحوادث، فنراه عندما يتراجع رئيس نجران عن غزو بلدان نجد سنة ١١٨٧هـ ويذكر ما أصاب قومه من جراح:

عين جودي بواكف هتان
واسكبي عبرة من الأجفان
وأفيضي على الخدود دموعا
تحكي صوب الغمام في الهملان
واهجري لذة الكرى في الدياجي
قد كفى ما جرى من الأحزان
لهف نفسي على فراق صحاب
قد تفانوا في طاعة الديان

وعندما انتصر الامام عبد العزيز بن محمد سنة ١١٨٧هـ قال:

فقام بها عبد العزيز مشمرا
وساعده في الحروب متينها
فآبت قلوب الناس من بعد طيشها
وقرت عيون واستسر حزينها
فآضوا وقد راضوا يقينا وجردوا
قواضب عضب ليس ينبو سنينها
وقد وطنوا لموت والله أنفسا
لنيل الرضى والعز هان ثمينها
فنالوا عظيم الفوز والعز والمنى
وما نال هذا بالنفوس ظنينها

ويقول في قصيدة أخرى يعقب على ما جرى من الحوادث والحروب مع دهام بن دواس حاكم الرياض سنة ١١٨٨هـ:

كم بدا من ابي سعود سعود
وفـتـوح ومـفـخـر لأنـاس
قد علت رتبة الشريعة لما
شـاد أركـانها بـأقـوى بـاس
وسما منهج المحجـة سمكـا
واستبانت معالم في اندراس

وتبدى الهدى فأضحى سناه
ساطع النور لامع النبراس
وأضاءت بذاك بلدان نجد
ومضوا بعده بغير احتراس

وعندما هم ثويني بن عبدالله بغزو الاحساء سنة ١٢١٢هـ الا أنه يقتل في الطريق على ماء يعرف بالشباك في طريق الكويت فتهزم جموعه وترحل عساكره عائدة الى العراق.. فيكتب النصر للامام سعود الذي قدم الى الاحساء، ويقول الشيخ ابن غنام قصيدة طويلة مطلعها:

لقد أقبلو والأرض ترجف منهمو
وقد أدبروا يقفوهم الذل والصغر
وساروا بأسباب المكائد والردى
الينا فما أغناهم الكيد والجر
وقد زاغت الأبصار واحتنك الفضا
علينا كأن الأرض مما بنا شبر
فآبوا وقد خابوا وما أدركوا المنى
وبادوا وما سادوا وعقباهم الخسر

ويصف حالة الاحساء قبل دخول الامام عبد العزيز:

تقاسمتم الاحساء قبل منالها
فللروم شطر والبوادي لهم شطر
تعستم فهجر دونها خطة البلا
ودون حماها يقطع الهام والنحر

ثم يهنىء الامام بالنصر ودخول الاحساء وترحيب أهل الاحساء بهذا الفتح:

فأضحت بهجر شرعة الحق غضة
وصوّح نبت الشرك وانقطع البذر
يهدي امـام المسـلمين ومهـده
أضاءت نواحيها فأرجاؤها سفر
تهنّ بهذا الفتح يا ابن محمد
فقد تم للدين القويم به فخر

وللشيخ بن غنام أشعار غير أشعار التاريخ وأحداثه، وانما هي أشعار تعطي ابن نفسه وروحه ما يبين صدق شعوره ومشاعره.. وهذه الأشعار مع قلّتها تعطي صورة صادقة لأحاسيس شاعرنا وعلو قدمه.. من ذلك قوله في رثاء الامام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله قصيدة مطلعها:

الى الله في كشف الشدائد نفزع
وليس الى غير المهيمن مفزع

لقد كسفت شمس المعارف الهدى
فسالت دماء في الخدود وأدمع
أمام أصيب الناس طرا بفقده
وطاف بهم خطب من البين موجع
وأظـلم أرجـاء الـبلاد لموتـه
وحل بهم كرب من الحزن موجع
شهاب هوى من أفقه وسمائه
ونجم ثوى في الترب وأراه بلقع

ومن قصيدة أخرى يمدح بها شيخه عبدالله بن أحمد آل عبد القادر يبدؤها بالغزل فيقول:

هل الدعص الا ما حواه ازارها
أو البان الا ما أبان اهتصارها
أو الفجر الا ما بدا من جبينها
أو الورد الا ما جلاه احمرارها
أو السهم الا ما تريش لحاظها
أو البيض الا جفنها لا غرارها
مهاة تريك الشمس طلعة وجهها
اذا أسفرت . يجلو الظلام سفورها

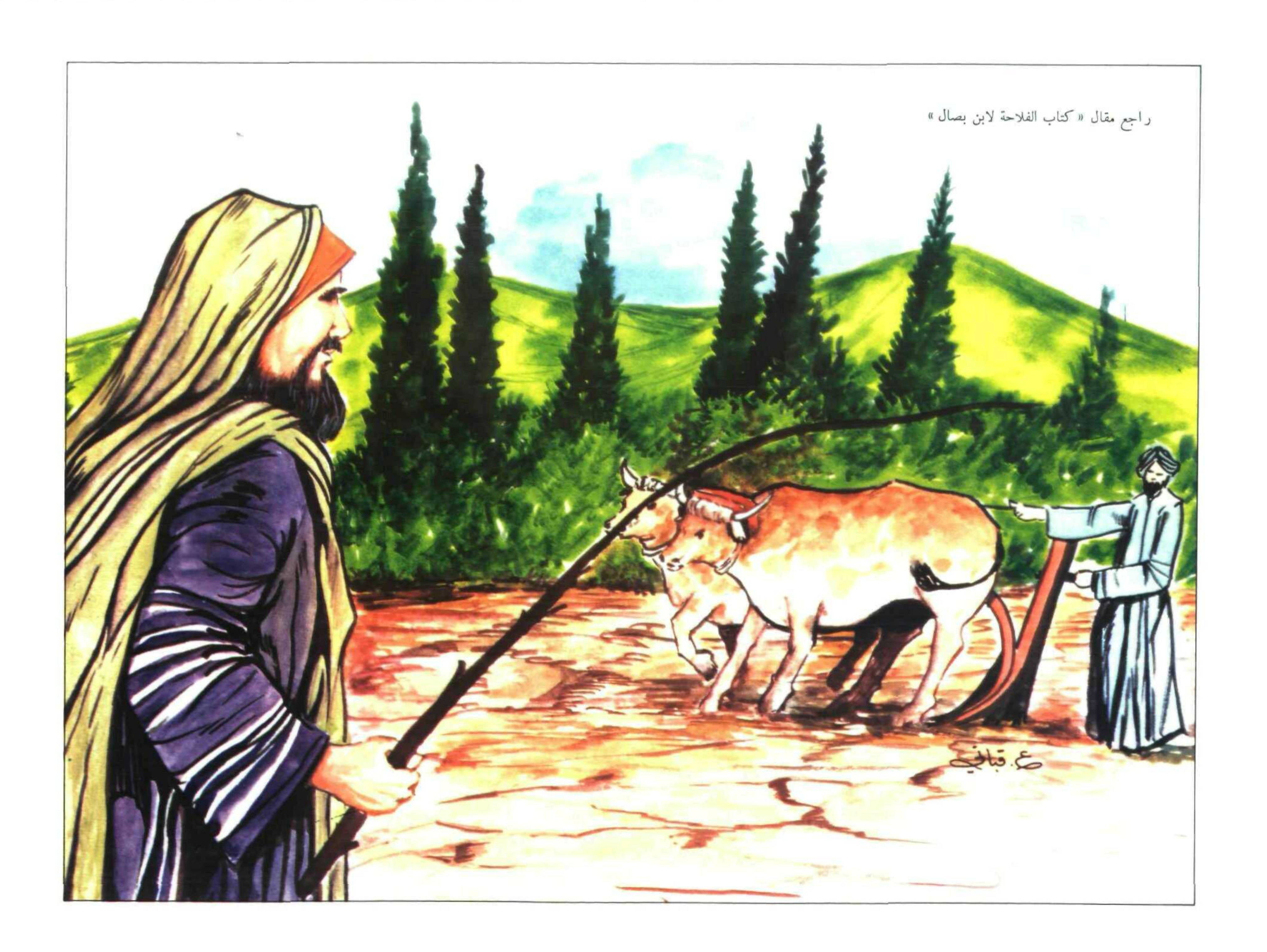
ثم يخلص الى ذكر الممدوح ومقامه لديه.. وتتكرر الصور نفسها في قصيدة أخرى بعث بها الى الشيخ عبدالله البيتوشي عند رحيله عن الاحساء يذكر فيها الفراق ويبدؤها باللوعة والأسى فيقول:

حكت أدمعي يوم الوداع الغمائم
وشابه نوحي في الرباع الحمائم
ضحى قطعوا حبل التصافي وقربت
بطي الفيافي اليعملات الرواسم
بعثن الأسى لما بعثن لخاطري
وأبرزن للواشين ما أنا كاتم
وبانوا فقلبي والحشاشة والنهى
ظواعن خلف الظاعنين حوائم
رحلن من الاحساء فشبت لظى الجوى
في داخل الاحشاء منهم مياسم

وهكذا يمضي في هذه القصيدة الحزينة يودع أستاذه بكلمات مؤثرة.. ثم يختمها بذكر محاسنه والثناء عليه بما هو أصل له من الثناء.. وهنا تتضح لنا صور من شاعرنا الشيخ الفقيه والمؤرخ حسين بن أبي بكر غنام مؤرخ الدولة السعودية الأولى وشاعرها □



يبدو القارب «بري ــ ٢» أحدث قارب ينضم الى دائرة البحرية، وهو يعمل في الفرضة البحرية بالجعيمة مستخدما معدات التسيير النفثي.



راجع مقال « كتاب الفلاحة لابن بصال »